المكتبة الثقافية

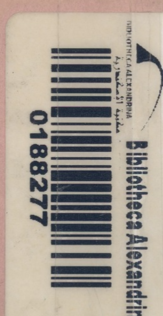
العدد ١٦٥

الفرقان فى القرآن

تأليف

محمود بن الشريف

الدار المصرية للتأليف والترجمة



أول ديسمبر ١٩٦٦

المكتبة الثقافية
١٦٥

الفرقان فى القرآن

تأليف
محمود بن الشريف

الـــدار
المصرية
للتأليف
والترجمة

« وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلنـــاه

تنزيلا »

من سورة الاسراء

آية ١٠٦

« بسم الله الرحمن الرحيم »

تقديم :

القرآن كتاب الله .. ومعجزة محمد .. ودستور المسلمين .. وهادى الانسانية الى المنهج القويم والهدف الأسنى ..

القرآن فرقان بين الحق والباطل .. بين الغواية والرشد .. بين الهداية والضلال .

القرآن زاد وهاد ، وهدى ورحمة وشفاء « **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** » .

« ان هذا القرآن يهدى للتى هي أقوم » « لقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ، هدى ورحمة لقوم يؤمنون » .

القرآن حياة ، بل حيوات ...

ومن قديم والقرآن غرض لسهام الحاقدين ، وهدف لنقد الناقدين وشائعات الشانئين ومن قديم كذلك والقرآن ، السهل ، الممتنع ، معجزة للعالم كله ، أعجز اللغويين بعباراته وتعبيراته ، والصوتيين بنبرانه وجرسه والبلاغيين بفصاحته وسموه ، والعلماء بعلمه وعمقه ، والنقدة بقصورهم عن استجلاء مناحيه واكتشاف نواحيه ...

وكانوا جميعا بالنسبة له كشارب الماء الملح كلما ازداد

شربا ازداد عطشا ، فكلما أوغلوا وتخيلوا ٠٠٠ كلما بحثـوا واستقرءوا وفرضوا النظريات وقننوا القـوانين ٠٠٠ وكلما غاصوا وأرهقوا وكدوا وجدوا ٠٠ وجدوا أنفسهم فى متاهات، لم يكشفوا من هذا الصرح الآلى الا قشرة رقيقة رفيقة ٠٠٠ انهكتهم وأعجزتهم وحيرتهم وأرغمتهم فى النهـــاية على أن يسلموا بالقصور ويعترفوا بالعجز والتقصير ٠٠ وكلما تقدم العلم وتقدمت معه المدنية ٠٠ وكلما تقدم العالم وتقدمت معه البشرية ٠٠٠ يكشف ذلك التقدم عن صدق القرآن وأصـــالة مفاهيمه وكلياته ودقة حكمه وروعة أحكامه وسماحة تشريعاته وروحانية طقوسه ٠

الجدول الضحل رقراق لا يعيى ولا يعجز ٠٠٠

أما البحر الزاخر والمحيط المتـــلاطم الأمواج المترامى الأطراف البعيد الآماد ٠٠٠ فأنى للنظر القاصر أن يسبر غوره أو يستشـــف سره أو يكشف مكنونه وستره ، كذلك كان القرآن خضما بعيد الغور فسيح الجنبات تنساب أمواهه فى خرير ووسوسة وأحيانا تهدر أمواجه وتضطرب وتضـطرم فيعز على الغواص أن يكشف أو يعرف أو يستشف ٠٠٠

ومتى كان للبشرية بعلمها الجاهل وقوتها الضـعيفة أن تصل فى احاطة وشـــمول الى ما تهدف اليه أقوال اللطيف الحكيم الخبير العليم ؟! والى المراد من كلام القوى القـــاهر القادر ؟! فلا جرم ان كان القرآن معجزا ٠٠٠ معجزا بما فيه وبما جاء به ، وهو بعد هذا كله معجزة **محمد** الخالدة الباقية٠

هو كما قال محمد صلى الله عليه وسلم : «عليكم بكتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم ، هو الذى لا يزيغ به الاهواء ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق من كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به أفلح ، ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم » .

وكما تحدث الرسول عن القرآن ، كذلك تحدث القرآن عن القرآن .

وكل قصارانا فى هذا الكتاب أننا نجمع بين دفتيه حديث القرآن عن القرآن ، جمعناه من سوره العديدة ، ومن أماكنه المختلفة ، وجعلنا من ذلك كله باقة آلهية من قول الله نقدمها لأهل الله .

والله الموفق وهو المعين

محمود بن الشريف

من سورة البقرة :

(ألم «١» ذلك الكتاب ـ لاريب فيه ، هدى للمتقين«٢»)

لعلها حكمة آلهية فى أن يصـــــدر القرآن حديثه عن القرآن فى أول سورة من سوره الطوال « **ســـــورة البقرة** » بهذا الرمز « **ألم** » رمز الهى أعيا العقول تفسيره ...

وقد ذهب كثير من المستقصين مذاهب شتى فى تفسير هذا الرمز ، والكشف عن مدلوله ومرماه ، وكنهه ومعناه ، وكل قد اتجه حسب تفكيره واتجاهاته ومبلغ علمه .

ولكن فى النهاية بقى الأمر كما هو ! فلم يسع السواد الأعظم منهم الا أن يقولوا « الله أعلم بمراده » .

فى النهاية الله أعلم بمراده ...

حقا .. فأنى للعقل البشرى القـــاصر أن يكشف عن المعنى الالهى المراد ؟!

وأنى للطين بعتمته وظلامه ووحله وأدرانه أن يتطاول أو يزعم أنه وصل الى النور والاشراق والســـــناء والضياء والسمو ، فيقطع عن ثقة ويقين بالمعنى المقصـــود لهذا الرمز القرآنى ، بله القرآن كله .

ومع ذلك فسنعرض هنا أشهر آراء المفسرين من القدامى والمحدثين ، ومحاولاتهم واتجـــاهاتهم فى تفسير ذلك الرمز الالهى ..

اتجاهات نعرضـــــها مرددين مع كل اتجاه « **الله أعلم بمراده** » فيعصمنا ذلك الترداد من الجنوح والشـــطط والميل والانحراف ، ويضفى علينا فى الوقت نفسه أمنا نفسيـــا ، وهدوءا قلبيا ، فلا جرم أن صار العجز عن التفسير أبلغ من كل تفسير ٠

فالعلامة الزمخشرى ـ ســاق فى تفسيره « الكشــاف » عدة معان لهذه الرموز الالهية ، فقال انها أسماء للسور التى ابتدئت بها ، أو ايقاظ وتقريع ، ليتعظ العرب ويعلموا ـ وهم أهل الفصــاحة والبيان ـ أن هذا القرآن المتلو عليهم ـ وقد عجزوا عن الاتيـــان بمثله ـ كلام منظوم من الأحرف التى ينظمون منها كلامهم ، فيقروا بالعجز ويؤمنوا ٠

وفى ثنايا حديث الزمخشرى عن هذه المعانى تناول تلك الرموز القرآنية تناولا آخر ٠٠ تناولا احصائيا من حيث العدد والنوع الصوتى ، والحروف ، فقال : « **واعلم أنك اذا تأملت ما أورده الله** ـ عز سلطانه ، فى الفواتح من هذه الأســــماء وجدتها نصف أسامى حروف المعجم (أى حروف الهجاء) أى أربعة عشر ، وهى : الألف ، واللام ، والميم ، والصاد ، والراء والكاف ، والهاء والياء ، والعين ، والطاء ، والسين ، والحاء والقاف ، والنون فى تسع وعشرين ســورة على عدد حروف الهجاء » ٠

ثم تحدث عنها من ناحية الصــوت والموســـيقى وفن تجويد القرآن وقراءاته فقال :

« ثم اذا نظرت فى هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف ، بيان ذلك : ان فيها من «المهموسة» نصفها : الصاد ــ الكاف ــ الهاء ــ السين ــ الحاء ــ ومن « المهجورة » نصفها : الألف ــ اللام ــ الميم ــ الراء ــ العين ــ الطاء ــ القاف ــ الياء ــ النون .

ومن « الشديدة » نصفها : الألف ــ الكاف ــ الطاء ــ القاف .

ومن « الرخوة » نصفها : اللام ــ الميم ــ الراء ــ الصاد الهاء ــ العين ــ السين ــ الحاء ــ الياء ــ النون .

ومن « المطبقة » نصفها : الصاد ــ الطاء .

ومن « المنفتحة » نصفها : الألف ــ اللام ــ الميم ــ الراء الكاف ــ الهاء ــ العين ــ السين ــ الحاء ــ القاف ــ الياء ــ النون .

ومن « المستعلية » نصفها : القاف ــ الصاد ــ الطاء .

ومن « المنخفضة » نصفها : الألف ــ اللام ــ الميم ــ الراء ــ الكاف ــ الهاء ــ الياء ــ العين ــ السين ــ الحاء ــ النون

ومن حروف « القلقلة » نصفها : القاف ــ الطاء ثم أحصاها من حيث عدد الحروف التى يتكون منها كل رمز من هذه الرموز فقال :

وردت : ص ، ق ، ن على حرف ، و : طه ، طس ، يس حم ، على حرفين ، وألم ، ألر ، طسم على ثلاثة أحرف ، وألمص

ألمر على أربعة أحرف ، وكهيعص على خمســــة أحرف كذلك تحدث تفسير « الجمل » على « الجلالين » حديثا احصائيا عن هذه الرموز فى (صــ ١٠ ــ جـ ١) فقـــال : « ان مجموع الأحرف المنزلة فى أوائل السور أربعــــة عشر حرفا ، وهى نصف حروف الهجاء ، وقد تفرقت فى تسع وعشرين سورة ، المبدوء بالألف واللام منها ثلاثة عشر وبالحاء والميم سبعة ، وبالطاء أربعة ، وبالكاف واحدة ، وبالياء واحدة ، وبالصـــاد واحدة وبالقاف واحدة ، وبالنون واحدة ، وبعض هذه الحروف المبدوء بها أحادى وبعضها ثنائى وبعضها ثلاثى وبعضها رباعى وبعضها خماسى ، ولا تزيد .

وبعد ذلك تعرض لمعانيها فقال : قيل : انهــــا أسماء للقرآن ، وقيل لله تعالى ، وقيل كل حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله تعـــالى ، فالألف اسم من « **الله** » واللام اسم من « **لطيف** » والميم اسم من « **مجيد** » وقيل : كل حرف منهــــا يشير الى نعمة من نعم الله وقيل الى ملك ، وقيل الى نبى ، وقيل : الألف تشير الى لطف الله والميم تشير الى ملك « الله » أما « السيوطى » فقـال ان هذه الحروف سر من الأسرار التى لا يعلمها الا « الله » ثم تحدث عن بعض آراء السلف الصالح، فنقل عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال « ألم » معنــــــاها « **أنا الله أعلم** » ، ألمص معناها « **أنا الله أفصل** » وألر معناهــا « **أنا الله أرى** » .

وروى عن ابن عباس أيضا فى (كهيعص) قال : الكاف من كريم ، والهاء من هاد ، والياء من حكيم والعين من عليم

والصاد من صادق • كما أورد اتجـــاه البعض من أن هذه الحروف هي صوت الوحي عند أول نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم ، وانما لم يستعمل الكلمات المشهورة في التنبيه كألا وأما لأنها من الألفاظ التي يتعارفها الناس في كلامهم والقرآن كلام لا يشبه الكلام ، فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تعهد لتكون أبلغ في قرع الأسماع ، كما ذكر أن العرب كانوا اذا سمعوا القرآن لغوا فيه فأنزل الله هذا النظم البديع ليعجبوا منه ويكون تعجبهم منه ســببا لاستماعهم ، وسماعهم له سببا لاستماع ما بعده فترق قلوبهم وتؤمن •

وكان لابد للمجتهدين والمفسرين المعـــــاصرين من أن يدلوهم في هذا المجال وسنختار رأيين أولهما لباحث مجتهد، والثاني لامام مفسر •

فقد اتجه البحاثة الدكتور/ زكي مبارك «١» الى القول بأن من المميزات التي انفرد بها القرآن « الابتداء بألفاظ غير مفهومة مثل : ألم ـ حم ـ طسم ـ •• الى آخر تلك الفواتح التي اختلف في تأويلها المفسرون ، والتي لم يهتد أحد الى المراد منها بالتحديد وهذا النمط من الابتـــداء لم نجده في النصوص الأدبية الجاهلية ولا الاسلامية » •

ثم قال الدكتور/ زكي مبارك « كنت أتحدث عن فواتح السور مع صديقي واستاذي المسيو بلانشـــو ، فعرض علي تأويلا جديرا بالدرس والتحقيق ، وفي رأيه أن الحروف : ألم

---

(١) في كتابه « النثر الفني » ج ١ ص ٤١

ـ الر ... الخ .. هى كالحروف (AOI) التى توجد فى بعض المواطن من (Chanson de geste) فهى ليست الا اشارات وبيانات موسيقية يتبعها المرتلون ، وقد كانت الموسيقا القديمة بسيطة يشار بها الى ألحانها بحرف أو حرفين أو ثلاثة وكان ذلك كافيا لتوجيه المغنى أو المرتل الى الصوت المقصود .. وفى الكنائس المسيحية بأوربا حيث لاتزال تحتفظ تقاليد الغناء الجريجورى ، وفى أثيوبيا مثلا ، يوجد اصطلاح ، موسيقى مشابه لذلك فان رئيس المرتلين يبدأ الصوت بالحروف التى تذكر ب (ألم) فى القرآن أو (AOI) فى نشيد رولان .

ويؤيد رأى المسيو بلانشو أن ألم تنطق هكذا عند الترتيل : (ألف .. لآم .. ميم) فهى ليست رمزا كتابيا ، ولكنها رموز صوتية .

ومن المحتمل أن تكون تقاليد الترتيل فى القرآن سارت فى طريق كان معروفا عند أهل الجاهلية ومن الواضح أن القرآن لم يكن من همه أن يخالف الجاهليين فى كل شىء حتى فى الأصوات الموسيقية ، فليس بمستبعد أن تكون فواتح السور اشارات صوتية لتوجيه الترتيل ، أو تكون متابعة لبعض ترانيم الجاهليين .. **ثم يمضى صاحب النثر الفنى قائلا :**

« ونحن مع اعتدادنا بقيمة هذا الرأى نرى من أسباب ضعفه أن المفسرين لم يعطوه ما يستحق من العناية ، مع

تطوعهم بعرض كثير من الفروض ، ولو أنه كان معروفا فى الصدر الأول لما تعرض لمثل هذا الاغفال ، ومن يدرى فلعل دراسة أصول الموسيقا فى الكنائس الحبشية والشامية فى العهد الذى سبق الاســـــلام تعود على هذا الرأى بشىء من التوضيح والتحديد ، والى أن تظهر هذه الدراسة نقف أمام هذا الرأى بين الشك واليقين » .

أما رأى الامام الأكبر المرحوم الشيخ شلتوت ، الذى سجله فى تفسيره لسورة البقرة بعد أن عرض فى ايجاز آراء العلماء في الأحرف المقطعة فى فواتح السور فقال :

« افتتحت هذه السور بالحروف على هذا النحو ، ولم يكن هذا الاسلوب معروفا عند العرب من قبل ، ولم يكن لهذه الحروف معان فى اللغة العربية تدل عليها ســـوى مسمياتها كحروف هجائية يلتئم منها الكلام ، ولم يصح عن الرسول صلى الله عليه وسلم بيان المراد منها ، وقد كان الناس ــلذلكــ أمامها فريقين : **فريق** يرى انها مما استأثر الله بعلمـــــه ، فلا يصل أحد الى معرفة المراد منها ، ويروى فى ذلك عن أبى بكر الصـــديق رضى الله عنه ... « **فى كل كتاب سر وسر القرآن أوائل السور** » وعن على رضى الله عنه « **ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى** » وقد سئل الشعبى عن هذه الحروف فقال : «**سر الله فلا تطلبوه**» وهكذا ورد عن كثير من الصحابة والتابعين ، **والفريق الآخر** ينكر أن يكون فى كتاب الله ما ليس مفهوما للخلق ، ويرى أن هذا المبـــدأ يتنافى مع الأوصـــــاف التى وصف الله بها القرآن من أنه

(**بلسان عربى مبين**) وأنه نزل « **تبيـــانا لكل شىء** » وأنه « **هدى للناس** » ونحو ذلك من الأوصاف ويقولون : لو أن فيه مالا يفهم لما صح فيه وصف من هذه الأوصـــاف ، الى أدلة أخرى من هذا الوادى ، وقد نسب هذا القول الى المتكلمين وأثر عنهم فى بيان المراد بهذه الأحرف أقوال كثيرة منها : انهـــا أسماء للسور التى بدئت بها ، ومنها انها رموز لبعض أسماء الله تعالى أو صفاته ، فالألف مثلا اشارة الى أنه تعالى (أحد ، أول ، آخر ، أبدى ، أزلى) واللام مثلا اشارة الى أنه «لطيف» والميم الى أنه « ملك ، مجيد ، منان » والعين الى أنه « عزيز ، عدل » وروى عن ابن عباس أنه قال فى « ألم » : أنا الله أعلم، وفى « ألر » أنا الله أرى .. الى غير ذلك مما يرون . ومنها ، وهو أشهرها ومختار المحققين ، كما يقولون : انهـــا حروف أنزلت للتنبيه على أن القرآن ليس الا من هذه الحروف التى عرفوها ، وألفوا كلامهم منها وهم قادرون عليها ، وعارفون بقوانين فصاحتها وبلاغتها ، فلم يكن القرآن بمـــادته التى يتألف منها غريبا عليهم ، وقد تحداهم الرسول بمثل هذا القرآن أو بعشر سور ، أو بسورة واحدة ، فعجزوا فلو كان من عند غير الله ومادته معروفة لهم ـ لاستطاعوا أن ينفوا عن أنفسهم العجز والخزى ، ولما جوبهوا بالعجز الدائم المستمر فى مستقبل لايعلم مداه الا الله .. »

ثم يستطرد المغفور له الامام شلتوت متسائلا : **هل فى كتاب الله مالا يفهم** .. ؟ ويجيب فيقول : وردت هذه الأقوال وغيرها من المتكلمين الذين يرون أن القرآن لا يمكن أن يحتوى

على ما لا يفهم الناس ونحن نرى بادىء ذى بدء أن القول بأنها رموز للأسماء أو الصفات أو لقضايا وصفية لله سبحانه قول لا يكاد قلب يطمئن اليه ، اذ لا مستند له يعتمد عليه ولا قانون يرجع اليه فلكل ناظر أن يختار ما يخطر على باله من أسماء أو صفات أو قضايا ويجعل الحروف رمزا له ونرى أيضا أن القول بأنها : اسماء السور يرده اشتهار السور بأسماء أخرى غير هذه الحروف كسورة البقرة وسورة آل عمران وسورة الأعراف وسورة مريم وما اليها فلو كانت أسماء للسور كما يقولون لتواترت على ألسنة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى ألسنة المؤمنين جيلا بعد جيل ونرى أن القول الذى نسبوه الى المحققين من أصحاب هذا الرأى — وهو التنبيه على أن هذا القرآن من مادة الكلام الذى ألفوه وقد عجزوا مع ذلك عنه قول يعتمد على قضيتين (تصيدهما القائلون به من الواقع التاريخى لموقف العرب من القرآن ٠٠ ومن طبيعة هذه الحروف) : احداهما أن هذه من حروف التهجى المعروفة عند العرب التى يتركب منها كلامهم وأن القرآن مؤلف منها والأخرى أنهم مع ذلك قد عجزوا عن الاتيان بمثله وما كان للعرب أن يجهلوا أو يغفلوا عن ان القرآن الذى يتلوه عليهم محمد صلى الله عليه وسلم من هذه الحروف ،

أما عجزهم عن الاتيان بمثله فهو أمر يعرفونه من أنفسهم ويعرفه التاريخ عنهم وقد سجله القرآن عليهم بالعبارة الواضحة البينة فليس الأمر فى القضيتين بمحتاج الى

استخدام رمز كهذا الرمز البعيد الذى لايستند الى نقل صحيح ولا فهم واضح .

هذا وقد نوقش المتكلمون فيما استدلوا به على المبدأ الذى بنوا عليه أقوالهم فى معانى أوائل السور وهو أنه لا يمكن أن يكون فى القرآن ما لايفهم ، فقيل لهم : ان وصف القرآن بما وصف به من أنه هدى وتبيان ونحو ذلك لايبطله أن تجىء فى أوائل بعض سوره مثل هذه الحروف التى لم يتعلق بها تكليف أو ارشاد وأنه ما دام واضحا فى جملته وفيما قصد به فلا بأس أن يرد فيه بعض ما استأثر الله بعلمه تنبيها على القدرة التامة فى جانب الربوبية والقصور فى جانب العبودية وتلك سنة الله فى خلقه وتكاليفه ـ فكم له فى الكون من أسرار تنقضى الدنيا ولا تدرك وكم له فى التكاليف من أسرار لا يملك العبد أمامها الا أن يمتثل وما هذه المكتشفات التى تتجدد للبشر يوما بعد يوم وتنكشف للعلماء جيلا بعد جيل .. الا قطرة أو قطرات من بحر خلق الله الذى لايعرف مداه سواه « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا ».. ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم » وان فى قوله تعالى ، وهو بصدد الحديث عن الاسراء بعبده من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى « **لنريه من آياتنا الكبرى** » وقوله وهو بصدد الحديث عن الايحاء اليه «**لقد رأى من آيات ربه الكبرى**» تنبيها لقلوب المؤمنين الى أن فى مكنون هذا الكون وفى باطنه

من خلق الله ما لا تدركه العقول ولا تصل اليه الأفهام « **وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » .

واذا كانت هذه لمحة ترشدنا الى أن فى الخلق أسرارا لا تدرك للعباد ، فان فى الصلاة من جهة عدد ركعاتها وأوقاتها وكثير من وسائلها وكيفيتها ، وفى الزكاة والكفارات وسائر المقادير المشروعة المطلوبة للمحات أخرى واضحة جلية فى ان لله أيضا فى تكاليفه ما يعجز البشر عن ادراك أسراره وما عليهم الا أن يؤمنوا ويمتثلوا فتصدق فيهم العبودية ويخلص منهم الايمان ، وما كان القرآن الا شأنا من شئون الله جرت فيه سنته من الخلق والتكليف فلم يخل من حروف استأثر بها علم الله ، وثبت بها قصور البشر دون أن يمس ذلك مقاصد القرآن أو أن ينقص من وضوح القرآن وبيان القرآن .

وعلى هذا فنحن نؤمن بأن فى القرآن سرا لا يدركه البشر هو معانى هذه الحروف التى جاءت فى فواتح السور ، ولكن لا ينبغى أن نتوسع فنطرد هذا المبدأ فيما وضحت دلالته العربية ، وثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم بيانه فنزعم – كما زعم أناس من قبل – أن للقرآن ظاهرا يدل عليه ، ويفهمه العامة ، ويكلفون به ، وباطنا لا يفهمه الا الخواص من عباد الله وهم مكلفون به ، فتلك نزعة فرقت المسلمين ، وضرب بعضهم بها رقاب بعض » .

ذلك الكتاب :

بعد ذلك الايقاع الآلهى « **ألم** » الذى جذب الأسماع وشد الأفئدة وأرهف المسامع وهيأها الى ما سيلقى اليها وأعدها الى ما يتلى عليها من بعد ، يأتى بعد هذا كله قول الله « **ذلك الكتاب** » كلمتان تبلور فيهما ما يوحى به ذلك التعبير من « **كمالية** » ذلك الكتاب وما تضمنه من عبادات وعادات من دنيا ودين .. من كليات وأقضية .. من قواعد ومفاهيم .. ذلك الكتاب الكامل .. لن يكون بعده كتاب .. هو خاتم الكتب كما أن المنزل عليه هو خاتم الرسل .. به كملت الشريعة وتمت العقيدة « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » .

حد .. وحدد .. ووحد :

الشريعة بأحكامها والعقيدة بأصولها .. قد حددها ذلك الكتاب ووحد الجميع تحت راية التوحيد .. وحد لكل طريقه .. وابان المنهج وأوضح الهدف ووضع المعالم تنير وتهدى وتكشف للانسانية كلها وللعالم أجمع طريقه العقيدى .

أتى البشرية بعد أن بلغت وتمت ، فنسخ ما قبله من كتب ، وكتب له البقاء والخلود والحفظ « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » .

ولعلماء البلاغة وقفـــة طويلة عند ذلك التعبير الالهى ٠٠ فالتعبير بالاشارة ٠٠ الاشارة البعيدة باللام والكاف « **ذلك** » يراد بها بعد مرتبته فى الكمال التى تقصر العقول البشرية والطاقات الانسانية عن التطاول اليهـــا أو بلوغ مداهـــا وأبعادها ٠٠

وتضمن ذلك التعبير الجامع قضايا وكليات وأصـــولا وأسسا فرعها الله بعد ذلك **بقوله :**

لا ريب فيه :

ما كان حديثـــا مفترى ٠٠ ولا افكا مدســـــوسا ٠٠ ولا أساطير كواذب ، كذلك لم يكن من عنديات محمد ٠٠ بل هو حق لأنه من عند الحق والله هو الحق المبين ٠٠

(وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه ، وأعانه عليه قوم آخرون ـ فقد جاءوا ظلما وزورا ، وقالوا أســـاطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ، قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان غفورا رحيما) ٠

لا مجال فيه للشك ولا للجدال ولا للرأى ولا للريب بل التسليم المطلق والاذعان والخضوع ٠٠ لما جاء به ولمـا احتواه اذ هو هدية الحق الى الخلق وهداية للناس الى رب الناس نزل على رسول أمى فأصلح به العقائد والنفسيات فأنى يكون للشك فيه مجال أو مكان ٠

(ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) ٠

هدى للمتقين :

المتقون : الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ومما رزقهم الله ينفقون .. هؤلاء هاديهم القرآن ورائدهم الفرقان وحاديهم كتاب الله هم فى حاجة الى زيادة من الايمان وزيادة من التقوى يأخذ القرآن بيدهم فى كل هذه المجالات ويهديهم الى ما هو أرفع وأنفع والى ما هو أصلح وأسعد فالأتقياء دوما فى حاجة الى مرشد وموجه وهاد والقرآن هدى للمتقين .

يجدون فيه ما يشحذ هممهم ، وما يشحن طاقاتهم بمدد الهى لا ينفد ولا يبيد ..

واذا كان هداية للمتقين ـ فلا جرم ان كان هاد للحيارى .. وللمستشرفين للنور .. والمتطلعين الى الحق .. والمتطلبين للهداية .

وللامام محمد عبده ، منحى دقيق انفرد به عن سائر المفسرين القدامى والمحدثين فى تفسير قول الله « هدى للمتقين» تفادى به ما قد يقال من ان المتقى مهدى ، فكيف يكون القرآن هدى له ؟!

فقال(١) «كان من الجاهليين من مقت عبادة الأصنام وأدرك أن فاطر السموات والأرض لا يرضيه الخضوع لها ، وان الاله الحق يحب الخير ويبغض الشر ، فكان منهم من اعتزل الناس

---

(١) ص ١٢٦ ـ ج ١ من تفسير المنار

لذلك ، وكانوا لا يعرفون من عبادة الله الا الالتجاء والابتهال، وتعظيم جانب الربوبية ، وذلك ما كان يسمى « صلاة » فى لسانهم ، وبعض الخيرات التى يهتدى اليها العقل فى معاملات الخلق .

وكان من أهل الكتاب من وصفهم الله تعالى بمثل قوله **(من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين)** وبقوله : **(ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون، واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين).**

فأمثال هؤلاء من الفريقين هم المراد بالمتقين ، ولا حاجة الى تخصيص ما جاء فى وصفهم بالمؤمنين منهم بعد الاسلام أو بالمسلمين ، بل أولئك هم الذين كان فى قلوبهم اشمئزاز مما عليه أقوامهم وفى نفوسهم شىء من التشوف الى هداية يهتدون بها ويشعرون باستعدادهم لها اذا جاءهم شىء من عند الله تعالى ، فالمتقون فى هذه الآية اذن هم الذين سلمت فطرتهم فأصابت عقولهم ضربا من الرشاد ، ووجد فى أنفسهم شىء من الاستعداد لتلقى نور الحق ، يحملهم على توقى سخط الله والسعى فى مرضاته بحسب ما وصل اليه علمهم » .

« مزاعم تردد .. والفرقان يرد »

لم يكن المجتمع العربى وقت نزول القرآن ، وقبيل ظهور الدعوة المحمدية ، بهذه الصورة المظلمة المنهارة التى سبقت الى بعض الاذهان بسبب الوصف الذى أطلق على ذلك العصر وصف « الجاهلية » ..

فسيق الى الاوهام أن المجتمع العربى منهار .. منهار فى نظمه وتقاليده ومنهار فى أخلاقياته واجتماعياته .

والحق أن ذلك المجتمع كان يقوم على دعائم حضارية فى عديد من الميادين .. حضارة تالدة أو طريفة قديمة أو مستحدثة ، وكانت لأهله سمات وخصائص ارتقت وارتفعت بهم فى حيواتهم الفعلية والادبية والاخلاقية وجعلتهم يعيشون فى ثراء وجدانى وترف عقلى عن ذلك يقول الدكتور زكى مبارك (١) :

« وهناك ميزة خطيرة للقرآن من الوجهة المعنوية : تلك تصويره للحقائق الادبية والاجتماعية والدينية التى كان يعرفها العرب قبيل الاسلام ، وتصويره لبعض ما كان يعرف العرب من أسلافهم الاولين وبعض ما سمعوا به من أخبار الامم الاجنبية التى سامها ملوكها الخسف وسوء العذاب ،

---

(١) ص ٤٢ من كتاب النثر الفنى

والخلاصة أن القرآن نثر وأنه دليل على أن العرب كان عندهم نثر قبل الاسلام فكان لهم بذلك وجود أدبى متين قبل أن يتصلوا بالفرس واليونان » .

كان المجتمع الجاهلى اذن جاهليا .. من حيث معتقداته الدينية فحسب ، ولا بدع فى هذا ففى حياتنا المعاصرة نرى أمما بلغت الذروة فى التقدم العلمى حتى غزت الفضاء الا أنها فى جدب روحى .. وفى فراغ ايمانى وفى جهالة وضلالة من حيث معتقداتها الدينية .

وذلك المجتمع مجتمع ما قبل الاسلام كانت تشوبه بعض المثالب والشوائب ، كما هو الشأن فى كل المجتمعات .. اذ المجتمع الأمثل المتكامل لما يوجد — كانت فيه غارات وثأر ، ووأد بنات وتقاليد بالية ، وكانت فيه بجانب ذلك نواح مضيئة كالأخلاقيات التى عرفت عنه من شجاعة وبذل وكرم وعون ووفاء ومروءة .. لو كان مجتمعا ضعيفا لكان لكل دعوة فيه صدى ايجابى سريع ، ولأحنى رأسه لكل داعية ولألقى سلاحه فى بلاهة وجهالة وسلبية لذا نجد أن دعوة الاسلام لم تستطع الظهور فى بادىء أمرها — ولم يكن فى الامكان أن يجاهر بها معتنقوها وظلت تمد رواقها فى الخفاء سنوات ثلاث ولم يكن فى مكنتها مجابهة المجتمع القرشى علانية ، على أنه لما آن أن تتمالك قواها وتقف على قدميها وتعلن عن نفسها لم تجد الطريق معبدا بل وجدت معارضة وعراقيل وقلاقل من القرشيين ومن الرؤساء والاشراف ومن العقائديين ذوى النحل التى سبقت دعوة

الاسلام .. ومن المتدينين بديانات خاصة ، ويقرر الدكتور زكى مبارك (فى كتابة النثر الفنى ص ٤٨) : « ان القرآن فى بلاغته انما يخاطب قوما يفهمونه ، ويتذوقونه ، وفهم القرآن وتذوقه لا يمكن أن يقع اتفاقا وبلا استعداد ، بل لا بد من أن تكون عند الجماهير التى سمعته وتأثرت به واعتنقت دينه ثقافة أدبية خاصة ، وأنا لا أفترض أن هذه الثقافة كانت كالثقافة التى ظفر بها العرب بعد الاسلام ، ولكنها على كل حال كانت تتناسب قليلا أو كثيرا مع ما فى القرآن من فصاحة وعمق ، هذا الذى أقوله يحملنا على الشك فى التقاليد التى جرى عليها الباحثون من أن العرب كانوا أميين بدرجة خطيرة ، **بل أنا أذهب الى أبعد من ذلك فأقرر أن الاسلام كان تاجا لنهضة علمية وأدبيةوسياسية وأخلاقية واجتماعية وفلسفية فى الحدود التى كان يستطيعها العرب** ، لأنه لا يمكن لرجل فرد مثل النبى محمد عليه السلام أن ينقل أمة كاملة من العدم الى الوجود ، ومن الظلمات الى النور ، ومن العبودية الى السيادة القاهرة . كل هذا لايمكن أن يقع من دون أن تكون تلك الامة قد استعدت فى أعماقها وفى ضمائرها وفى عقولها بحيث استطاع رجل واحد أن يكون منها أمة متحدة وكانت قبائل متفرقة ، وأن ينظم علومها وآدابها بحيث تستطيع أن تفرض سيادتها وتجاربها وعلومها على أجزاء مهمة من آسيا وافريقيا وأوربا فى زمن وجيز ، ولو كان يكفى أن يكون الانسان نبيا ليفعل ما فعله النبى محمد لما رأينا أنبياء أخفقوا ولم يصلوا : لأن أممهم لم

تكن صالحة للبعث والنهوض ، **بل انى لأذهب أبعد من ذلك فأقرر أن الحركة الادبية والسياسية والاجتماعية فى عهد النبى لم تصور الى الآن بصورتها الحقيقية** : فهذا رجل غير أمة كاملة فى عشرين عاما ولقيت دعوته آلاف المصاعب ، أفيمكن حقا الاقتناع بأنه لم يقل أكثر من عشر خطب وان أنصاره لم يقولوا من الخطب والرسائل الا ما نقله عنهم الطبرى وغيره من المؤرخين ؟ وأين اذن آثار المعارضة الشديدة التى قامت فى وجهه واضطرته الى الهجرة ؟ وأين ألسنة اليهود والعرب والاشراف من قريش ؟ أفيعقل أن تمر حركة كهذه من دون أن تهب فى وجه صاحبها السنة الخطباء وأقلام الكتاب وشياطين الشعراء ؟ وهل تسمح طبيعة الوجود أن رجلا كمحمد يقضى أسماره بين خواصه وأيامه فى ميادين الحروب ، من غير أن تكون له ولرجاله مساجلات قوية يتناولون فيها حجج خصومهم نقدا وتحليلا ويعرضون فيها للسياسة العامة ، وهل يعقل كذلك أن يصبر رجال الوثنية والنصارى واليهود على التهم المختلفة يلقيها عليهم النبى وأصحابه من دون أن يقابلوا الشر بالشر والعدوان بالعدوان فيطيلوا القول فى النفح عن دياناتهم والقدح فى الديانة الجديدة التى تهاجمهم فى عقردارهم وتدعوهم الى تحطيم أصنامهم وترك أحبارهم ورهبانهم ! .. »

والحق ان هذه القوى المعادية للاسلام ، لم تقف مكتوفة اليدين ، سلبية عندما رأت الدعوة المحمدية تسرى وتستشرى وتثرى كل يوم بمعتنقين وبمؤمنين .. رأوا وسمعوا .. رأوا

سحر القرآن فى النفوس ، وأثره وخطره وسمعوا آيات تتلى فتجرف الشرك ، فلم يكن بدعا أن حاول كل من المنـافقين والمشركين وأهل الكتاب صد تيار الكتاب الالهى ، ورصدوا طاقاتهم وامكانياتهم ليحولوا فى بادىء الأمر بين الاسماع وبين سماعه ، وان يعملوا على وأده فى مهده والحيلولة دون هديه ، ولكن « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » وأسقط فى أيديهم فهم أهل بلاغة ، والقرآن فى الذروة من البلاغة ، فلم يستطيعوا أن يطعنوا القرآن فى أسلوبه وفى تعبيراته وفى جمال لفظه وجرسه ، فسلموا بالواقع وكانوا لولبيين ، فأقروا فى الظاهر ببلاغة القرآن وقرروا أنه بلغ الذروة لأنه ٠٠ لأنه كهانة وسحر ، ولأنه خيال وخداع ٠٠ لا أنه منزل من السماء بل هو شعر يسحر ويبهر ، وأنه من كلام بشر ، لا من كلام رب البشر **« وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين »** **« فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين »** ٠

ثم تكتلت القـوى مرة اخرى فوضعت مخططا دعائيا قوامه : التشهير والتجريح واطلاق الشائعات والأكاذيب ونشر الدعاوى المسمومة والمزاعم حول القرآن وحول من نزل عليه القرآن ٠

وبعض العقليات تطامن من هامتها وتحنى رأسها وتتقبل ما يلقى اليها فى سرعة وفى صدق ٠٠ وفى عمق ٠٠ وتجمد على ذلك ٠

والبعض يتناول الشـائعة فيضفى عليها من خياله

ما يزيدها حبكة وقوة .. ويزيد على حوادثهـا وأحداثها من عندياته وينفخ فيها من أخيلته وتصوراته مايضفى عليها الوانا صارخة وصورا تجذب الى شباكها واحابيلها الكثير .

وعرفت قريش أن سلاح الاتهامات الباطلة سريع الأثر فى النفسيات وبخاصة تلك النفسيات التى تلغى تفكيرها وتعطل عقولها وتردد ما يلقى اليها ، وأن حرب الشائعات ستكفيها من أن تستل السيف لتشهره فى وجه تلك الدعوة ، فجندت امكانياتها واستغلت وسائل الاعلام التى كانت بين يديها اذ ذاك لوأد دعوة محمد فى مهدها ، والقضاء على مركز الاشعاع الروحى فى مجاليها .

وتصـدى القرآن لكشف هـذه الحملة وتفنيد مزاعمها وترهاتها وأبان ركائزها وأسسها التى قامت على اعداد أجهزة لتحريف الآيات المنزلة ، بتغييرها أو تبديلهـا ، وأشرف على تلك الأجهزة لفيف من اليهود الذين لهم قدرة وبراعة فى هذه الناحية .

كذلك لنثبت به فؤادك :

(١) ومما اعترضوا به على القرآن أنه نزل منجما ، واقترحوا أن ينزل دفعة واحدة ، ولكن القرآن رد على هذا الاقتراح ، بأن نزوله على تلك الطريقة ، فيه تثبيت لفؤاد الرسول ، ليكون دائم الاتصال بربه ، أو ليس فى نزوله كذلك تثبيت لأفئدة المؤمنين أيضا اذ ينقلهم القرآن بتعاليمه مرحلة الى الدين

(١) ص ٢٨٧ من كتاب من بلاغة القرآن .

الجديد ، ويروى القرآن هذا الاعتراض ، ويرد عليه فى قوله سبحانه : « **وقال الذين كفروا : لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ، ورتلناه ترتيلا ، ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا** » •

ولقد تعبوا فى صد تيار القرآن الجارف ، ووقف أثره فى النفوس فما استطاعوا ، ثم هداهم خيالهم الضيق الى طريقة يحولون بها بين القرآن وسامعيه تلك هى الصخب عند سماع القرآن واللغو فيه ، ولما كان فى ذلك استقبال لا يليق بالقرآن قابله الله بتهديد عنيف ، وايعاد شديد ، اذ يقول : « **وقال الذين كفروا : لا تسمعوا لهذا القرآن ، والغوا فيه ، لعلكم تغلبون، فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ، ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون ، ذلك جزاء أعداء الله النار ، لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون** » •

وذلك أقوى دليل على الاخفاق ، وأنه لا حجة عندهم يستطيعون أن يهدموا بها حجة القرآن •

وحرك القرآن فيهم غريزة الخوف ان كذبوا به ، فسألهم ماذا تكون النتيجة اذا ثبت حقا أنه من عند الله ، وظلوا كافرين ، أيكون ثم من هو أفضل منهم أو أظلم ، يثير تلك الغريزة فى قوله : « **قل : أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به ، من أضل ممن هو فى شقاق بعيد** » ويقف منهم موقف من بين الخير والشر ، ثم تركهم لأنفسهم يفكرون ، ألا يثير فيهم ذلك كثيرا من الخوف من أن ينالهم سوء اعراضهم بأوخم العواقب ، اذ يقول : « **انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق**

فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، وما أنت عليهم بوكيل » (١) ٠

ثم أدخلوا في روع العامة أن الرسول لا يكون بشرا ، بل ملكا ينزل من السماء في يمينه المعجزة وفي يساره الكتاب ٠٠واستنكروا قائلين : « ألم يجد رسولا يرسله الله الى الناس الا يتيم أبي طالب ؟! » ٠ وقال القرآن على لسانهم : « **ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم » « أبشرا منا واحدا نتبعه ؟ انا اذن لفي ضلال وسعر » « ما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء » (٢) ٠**

وقال القرآن للرسول : « **قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد** » ويرد القرآن مزاعم المتقولين في هذا المجال بأن الحكمة تقتضي أن يكون الرسول من جنسهم وبشرا مثلهم حتى يسهل الأخذ عنه والتلقي منه ، ولو سكنت ملائكة الأرض ما أرسل الله اليهم الا ملكا رسولا ، يقول القرآن : **« وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا : أبعث الله بشرا رسولا ، قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » ٠**

ثم يقول القرآن في أول سورة يونس : « **ألم تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين » ٠**

---

(١) آية ٤١ من سورة الزمر (٢) ١٩١ الأنعام ٠

وبعد ذلك تسجل آيات هذه السورة موقفا آخر ، بين هؤلاء الذين أرادوا استدراج الرسـول ليبدل لهـم آية مكان آية ، فاذا ما أذعن اذاعوا على الملأ صنيعه ، وبين محمد الذى أفحمهم وقدم لهم الدليل الملموس على صدقه وأمانته •

« واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبـع الا ما يوحى الى انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم ، قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ــ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون » •

واتهموه بأنه شاعر يتيه فى أودية الخيال ويهيم فى مجالى الفن والعبقرية والجن • والجنون فنون كما يقولون • يقول القرآن : ويقولون « **انه لمجنون** » ويقولون « **انا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون** » •• ويقص القرآن على لسانهم كل مفترياتهم هذه ، ثم يرد عليهم : « **وما صاحبكم بمجنون** » « **كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون** » •

القرآن ومحمـد :

عز على أهل مكة معارضة القرآن •• أو الاتيان بمثله •• ووقفت ملكاتهم البيانية وقدراتهم البلاغية حتى عن محاكاته فى أسلوبه ووقعه •• وعز عليهم أن يقفوا ويجمـدوا وهم يجدون أفواجا تلو أفواج تدخل فى دين الله •

عز عليهم كذلك أن يخضعوا ويذعنوا •• فتضيع منهم

الرياسة وتذهب المكانة ويصيروا سواسية مع الآناسى من عباد الله ، فلجأوا الى جعبتهم يخرجون منها سهاما أخر يطعنون بها الدعوة ويوقفون السيل الجارف المتجه الى الهدف الالهى .. فتقولوا .. وزعموا .

وكشف القرآن تقولاتهم عن القرآن .. وأدحض مزاعمهم ومفترياتهم .

اطلقوا الشائعات تقول ان القرآن من صنع محمـد ومن تقولاته ، ويتحدث القرآن بحديث حاسم عما كان يمكن أن يجازى به محمدا لو انه افترى أو تقول : « **ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين** » .

ويمضى القرآن فى تبيان خطوط مخطط الأعداء وخطوط مؤامراتهم وما بيتوه : « **وقال الذين كفروا ان هـذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلما وزورا ، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ، قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان غفورا رحيمـا** » .

وهكذا ما يبيته أعداء الله يبينه وحى الله لأهل الله ..

ولم يفت فى عضد المؤتمرين حينما رأوا أن مؤامراتهم ومناوراتهم الاعلامية لم تحظ بما كانوا يؤملونه فيها من نجاح واكتساح .. ففكروا وقدروا .. ودعاهم التفكير الى مزيد من وسائل اعلامية أخرى .. وسائل تمتاز بالجدة والابتكار وتتميز بالفعالية وسرعة التأثير فاتهموا القرآن بأنه أساطير

(٣) الفرقان ــ ٣٣

وزعموا أن عندهم قصصا وأساطير تفوق القرآن ان لم تماثله ولجأوا الى « النضر بن الحارث » وكان (١) كثير الأسفار يحفظ القصص العديدة فلا يرى محمدا قام يدعو الى دينه حتى يجلس بالقرب منه ويحاول اجتذاب الناس من حوله ويقص أحاديث رستم أو « اسفنديار » وقد بلغ من جرأته أنه قال « سأنزل مثل ما أنزل الله على محمد » ٠

والقرآن يكشف موقف هؤلاء وينذرهم فيقول : « **ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا ، أولئك لهم عذاب مهين ، واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا ، كأن لم يسمعها ، كأن فى أذنيه وقرا ، فبشره بعذاب أليم**)

ولم يكن فى حوزتهم أخيرا الا حيلة العاجز الذى نفد ما فى جعبته من سهام فلم يجد الا بذىء القول وساخر الكلم يقذف به المنتصر ، ليطفىء بها حدة غضبه ويخفف من سورة حفيظته ، فاستهزءوا بالرسول وسخروا منه وتطاولوا عليه « **واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا ، أهذا الذى يذكر آلهتكم ، وهم بذكر الرحمن هم كافرون** » « **واذا رأوك أن يتخذونك الا هزوا أهذا الذى بعث الله رسولا ، ان كاد ليضلنا عن آلهتنا ، لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا** » ٠

وعن سلاح الدعاية هذا يقول الدكتور حسين هيكل :

---

(١) من كتاب محمد رسول الله ترجمة الدكتور عبدالحليم محمود ٠

ص ١٣٤ من كتابه « حياة محمد » : « لم يأن لقريش آن تذعن ، وهى الآن أشد ما تكون خوفا من انتشار دعوة محمد بين قبائل العرب بعد ان انتشرت بمكة ، وقد بقى لديهـا سلاح لجأت اليه منذ الساعة الأولى ولا يزال لها فى قـوته وفى مضائه مطمع ، ذلك سلاح الدعاية ، الدعاية بكل ما تنطوى عليه من مجادلة وحجج ومهاترة وترويج اشـــاعات وتضعيف لحجة الخصم واستعلاء بالدليل على دليله ، الدعاية ضد الفكرة وضد صاحب الفكرة واتهامه فيها واتهـــامها لذاتها .. الدعاية التى لا تقف عند حدود مكة والتى لم تكن مكة بحاجة اليها كحاجة البادية وقبائلها وشبه الجزيرة وسائر أهلها ، كان التهديد والارهاب والاغراء والتعذيب بعض ما يغنى عن الدعاية فى مكة ، لكنها لم تكن لتغنى عنها شـيئا عند الألوف الذين يفدون الى مكة كل عام فى التجارة والحج والذين يجتمعون فى أسواق عكاظ ومجنة وذى المجاز ليحجوا الى الكعبة بعد ذلك مقربين الى اصنامهم ناحرين عندها ملتمسين منها البركة والمغفرة ، لذلك فكرت قريش منذ اسـتحرت الخصومة بينها وبين محمد فى تنظيم الدعاية ضده ، وكانت فى تفكيرها هذا أشد امعانا منذ فكر هو فى مبادأة الحاج بدعوتهم الى عبادة الله وحده لا شريك له ، وهو قد فكر فى هذا بعد السنين الأولى من بعثه ، فهو قد بدأ نبيا منذ بعثه الى أن جاءه الوحى أن ينذر عشيرته الأقربين ، فلما انذر قريشا واسلم منها من اسلم والح فى الكفر والعناد من الح ، ألقى عليه أن يدعو قومه العرب جميعا ، ليلقى عليه من بعد

ذلك أن يدعو الناس كافة ، لما فكر فى مباداة الحاج من مختلف قبائل العرب بالدعوة الى الله اجتمع نفر من قريش الى « الوليد بن المغيرة » يتشاورون ماذا عسى أن يقولوا : ان محمدا كاهن ، فرد الوليد هذا الرأى بأن ليس ما يقول محمد بزمزمة الكاهن ولا بسجعه ، واقترح آخرون ان يزعموا أن محمدا مجنون ، فرد الوليد هذا الرأى بأنه لاتبدو عليه لهذا الزعم ظاهرة ، واقترح غيرهم ان يتهموا محمدا بالسحر فرد الوليد بان محمدا لا ينفث فى العقد ولا يأتى من عمل السحرة شيئا ، وبعد حوار اقترح الوليد عليهم ان يقولوا للحاج من العرب : ان هذا الرجل ساحر البيان ، وان ما يقوله سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء واخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته ، وكان لهم عند العرب من الحجة على قولهم هذا ما اصابهم فى مكة من فرقة وتخاذل وتناحر ، بعد ان كانت مكة مضرب المثل فى العصبية وفى قوة الرابطة، وانطلقت قريش فى الموسم تحذر الحاج من الاستماع الى هذا الرجل وسحر بيانه حتى لا يصيبها ما أصاب مكة ، فتكون فتنة تصلى حرها جزيرة العرب جميعا .

« لكن دعاية كهذه لا يمكن أن تقوم وحدها أو تقاوم سحر هذا البيان الذى يؤمنون اليه ، فاذا جاء الحق فى هذا البيان الساحر فما يمنع الناس أن يؤمنوا به ؟ وهل كان الاعتراف بالعجز وبتفوق الخصم دعاية ناجعة فى يوم من الأيام ؟ فلتكن لقريش الى جانب هذه الدعاية دعاية أخرى : ولتلتمس قريش هذه الدعاية عند « النضر بن الحارث » وقد

كان هذا النضر من شياطين قريش ، وكان قد قدم « الحيرة » وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وعباداتها وأقوالها فى الخير والشر وفى عناصر الكون ، فأخذ نفســـه كلما جلس محمد مجلسا يدعو فيه قومه الى الله ويحذرهم عاقبة ما أصـــاب من قبلهم من الأمم التى أعرضت عن عبادة الله ، بأن يخلف محمدا فى مجلسه وأن يقص على قريش حديث فارس ودينها، ثم يقول : بماذا يكون محمد أحسن حديثا منى ؟ أليس محمد يتلو من أساطير الأولين ما أتلو ؟ وكانت قريش تذيع أحاديث النضر من طريق الرواية دعاية ضد ما ينذر محمد الناس به وما يدعوهم اليه » ٠

وبالنظرة الموضـــوعية ، والنظر الواقعى والمنطق الحر البعيـــد عن التعصب والميـــل ٠٠ بهـــذه الوسائل كلهـــا لو اتخذها العرب طرائق لبحث شخصية محمد وما عرف عنـــه قبل بعثه من سجايا وصفات وعن رسالته ، وأنه أرســـل منهم ، وفيهم ، ومعه كتاب بلغتهم ولسانهم ٠٠ وحكموا عقولهم فى آيات هذا الكتـــاب ٠٠ ولا سيما تلك الآيات التى تحمل معنى العتب الالهى ، فهى دلالة ناطقة بصدق محمد ، وشاهدة على نبوته ، فلو كان القرآن من عند غير الله ، أو من عند محمد ــ كما يقول المفترون والجهلاء ــ لما ارتضى محمد ان يثبت العتاب على نفسه أو ان يوجه اليه ، اذ العتاب شـــديد الوطأة على النفس ذات الحساسية والشعور المرهف ولما قرانا فى القرآن قوله تعالى : « **عبس وتولى أن جاءه الأعمى ٠٠٠** » الى آخر هذه الآيات التى سجلت عتب الاله على رســـوله

الكريم عندما أقبل على الرسول جمع من عظماء قريش وزعمائها يناقشونه فى الاسلام فتشاغل الرسول بهم طمعا فى اسلامهم وما لبث أن قطع حديثهم صياح صحابى كفيف البصر اسمه «عبد الله ابن أم مكتوم» لم ير تشاغل الرسول ـ صلوات الله عليه ـ واهتمامه بمن عنده فظل ينادى ويقول : يا محمد جئت اليك لتعلمنى مما علمك الله ، فكره منه الرسول هذه المقاطعة وظهرت الدلائل على وجهه الكريم ، فنزلت آيات العتاب السابقة الدالة على صدق القرآن وصدق من نزل عليه القرآن : « **وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين** » . وتقول آية أخرى : « **فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك ، وضائق به صدرك أن يقولوا : لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ، انما أنت نذير** » .

« وقد يكون العتاب فى القرآن بسبب ، يمس أساسا من أسس نشر الدعوة لتأخذ طريقها الى النصر والنجاح كقوله تعالى : « **ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم** » .

أما اذا لم يتصل العتاب بمثل ذلك من مهمات الأمور فان العتاب يرق ويلين كما ترى ذلك فى قوله تعالى : « **عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم**

الكاذبين » وقوله : « **يا أيها النبى لم تحرم مـــا أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم** » (١) ٠

كذلك الآيات القرآنية التى تنفى عنه ، صلى الله عليه وسلم ، التقول وتبين عقاب المتقولين : « **انه لقول رســـول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ، ولو تقول علينـــا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين** » (٢) ٠

جزاء التقول ، عقاب ٠٠ وعقاب جاء مفصلا ٠٠ وعلى هيئة تبعث الرهبة ٠٠

عتاب وعقاب ، ذكرا فى الكتاب فلم يكن هناك مجـال للارتياب أو للاتهام ٠٠ فلو كان محمد هو الذى افتراه أو صنعه أو تقوله لأبعد عنه كل ما يمسه أو يؤلم نفسه أو حسه من عتب أو تهديد ٠

وليس ذلك التأمل المطلوب بمقصور على منكرى الوحى والرسالة فى عهد النبوة فحسب ٠٠ بل لو تأمل جاحدو اليوم من زعماء العقوق الايمانى واستمعوا قول الله فى شأن قرآنه : « **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** » ٠

بوقفة متمهلة ونظرة متأملة وفكرة متأنية وعقلية واعية

---

(١) ص ٣٦٤ من كتاب « من بلاغة القرآن » لأحمد بدوى ٠

(٢) آية ٤٧ من سورة الحاقة ٠

لوجدوا أن الزمن نفسه قد قدم لهم وللعالم أجمع آية محسوسة ملموسة على صدق الوحي ومن نزل عليه الوحي ، فقد انسلخ من عمر الزمن منذ وفاة الرسول الى اليوم ـ سنوات تربو على الف وثلاثمائة ونيف وستين ـ تحمل على عاتقها الكثير من العبر والغير والحوادث والأحداث مرت ولم يثبت خلالها رسالة رسول أو نبوءة نبى مع ان الفترة الزمنية بين كل رسول ورسول كانت سنوات قليلة ضئيلة ، فأثبتت الأيام بأرقامها وحسابها ، صدق القرآن الذى يقول : **« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين »** .

وأيدت المصطفى حينما قال : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى : نصرت بالرعب ، وجعلت لى الأرض مسجدا وتربتها طهورا ، وأعطيت الشفاعة وجعلنى الله خاتم المرسلين » .

ودلالة الأرقام هذه ما أحرى أن يتأملها معاصرو اليوم من هؤلاء الذين لا يؤمنون الا بالمحسوس أو بالمشاهد الملموس .

على أن القرآن نفسه ، دليل على نبوة محمد ، وعن هذا يقول الامام محمد عبده ص ٢١٧ حـ ١ : « ان ما أيد الله تعالى به رسله من الآيات الكونية كان مناسبا لحال زمان كل منهم وأهله ، وقامت الحجة على من شاهد تلك الآيات فى عهده ، ثم على من صدق المخبرين من بعده ، وقد علم الله ان سلسلة

النقل ستنقطع وان ثقة بعض المتأخرين به ، ولا سيما بعد انقطاع سلسلته ستضعف ، وان دلالتها على الرسالة ستنكر، فجعل الآية الكبرى على اثبات رسالة خاتم النبيين علمية دائمة لا تنقطع ، وهي هذا الكتاب المعجز للخلق بما فيه من أنواع الاعجاز السبعة (اعجاز القرآن بأسلوبه ونظمه وببلاغته وبما فيــه من علم الغيب وبســلامته من الاختـــلاف وبعلومه وتشريعاته ، وبعجز الزمان عن ابطال شيء منه وبتحقيــق مسائل كشف عنها البحث العلمي الحديث) وبينا أن كل واحد منها آية بينة لمن القى السمع وهو شهيد ، وكان مستقلا مطلقا من أسر النظريات المادية وقيود التقاليد ، اذ لا يتصور عاقل يؤمن برب العالمين أن يصدر هذا الكتاب المشتمل على هذا القدر السنيع (الجامع بين الطول والحسن) من المعاني في هذا الأسلوب البديع والنظم المنيع من المباني ، من رجل أمي ولا متعلم أيضا ، الا أن يكون وحيا اختصه به الرب عز وجل ، ناهيك به وقد يعجز الانس والجن عن أن يأتوا بمثله ، ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله ، فهذا التحدي حجة مستقلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم » .

شهر القرآن

« شهر رمضـــان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » • (١)

فى ليلة غير محددة •• من يوم غير محدد فى شـــهر محدد هو شهر رمضان نزل القرآن •• نزلت أول سورة من سوره ، بل على التحقيق أول آية من آياته نزلت على محمد ، وانطلق لسانه يردد قول ربه :« **اقرأ باسم ربك الذى خلق •• خلق الانسان من علق •• اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم** » •• وتلك الليلة ان لم تكن محددة بحدود زمنية ومواقيت معينة ، الا أن القرآن وصفها بأنها عالية القدر سامية المكانة سامقة المنزلة : « **انا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من الف شـــهر ، تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر** » • ويقول الله عنها كذلك : « **حم والـــكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مبـــاركة انا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا ، انا كنا مرسلين رحمة من ربك** » •

نزل وحى الله على رسول الله وهو يتعبد فى غار حراء ،

---

(١) آية ١٨٥ من سورة البقرة

فلم يتلق محمد وحى الله وكلمات ربه الا بعد أن أعده الله لتلقى هذه الأمانة وبعد أن هيـــأه لتحمل أعباء الرســـالة « **والله أعلم حيث يجعل رســالته** » تعبد محمـد وتحنث ٠٠ وتفكر ، وانقطع للخلوة ، وابتعد عن مجتمعه للتأمل والتفكر والنظر ٠٠

ولما وصل ـ عليه السلام ـ الى مرحلة من الشـفافية والاشراق أعدته لتلقى الوحى المنزل عليه من السماء نزل عليه هدى السماء ليهدى الناس كافة وليبشر منهم من آمن ٠٠ وينذر من جحد ٠٠

من سورة آل عمران :

وحدة ٠٠ وتصديق ٠٠ وحكم

« الم : الله لا اله الا هو الحى القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل ، من قبل هدى للناس ، وأنزل الفرقان ٠٠ » ٠

فى مطلع تلك الآيات تتصدر قضية عامة وكلية هامة، هى أساس العقيدة وأس الايمـان ٠٠ كلية التوحيد ، هـذه الكلية التى اشتركت الكتب المقدسة كلها فى الدعوة اليها ، والتى جاءت بها الشرائع السماوية جميعا ، فمـا من رسول

الا نادى بالتوحيد ، وما من كتاب سماوى الا وهدى الى أن الله واحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ..

ان رسالات السماء **تكاد تكون** ، فى عمومها : رسالة واحدة يكمل بعضها البعض ، أساسها التوحيد ، ثم تفريعات وتشريعات دعمت هذا الأساس الواحد ، وفى النهاية استكمل البناء بالرسالة المحمدية بقول الرسول : « ان مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها الا موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » .

فلا جرم أن اعتز الاسلام برسالات الرسل جميعا ، ولا جرم أن صدق القرآن ما قبله من الكتب السماوية ، غير أن القرآن ناسخ للكتب السماوية السابقة .. ناسخ لكل فرقان سابق .. نسخ التوراة والانجيل والزبور .. نسخ كل هذا وغيره، لأنه الكتاب الكامل الخالد الذى أتى الانسانية بعد أن بلغت رشدها وأتى العقل بعد أن بلغ نضجه وعلمه ، وبعد أن صلح للبشرية بتعاليمه وآدابه وتشريعاته ، لذا كانت مفاهيمه وأصوله وركائزه لا يعتورها تعديل ولا تبديل من أجل ذلك كتب له الخلود وكتبت له « الخاتمية » .

المحكم والمتشابه

« هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون

ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنـا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب » ٠

« فى كتاب الله الكريم آيات محكمات (١) ٠٠ واضحة الدلالة بينة المفهوم والمقصد هى أصل هذا القرآن الكريم ٠٠ وبجانبها آيات اخر تدق على الافهام ، متشابهة ، تعجز العقول عن ادراك مراميها ومعانيها المرادة ٠

وهذا سر من أسرار الاعجـاز القرآنى أن ترتقى بعض معانى الآيات على الأفهام على كر العصور ومر الأيام ، ويقف التقـدم العلمى والعقـلى ازاءها مبهورا ، ومرضى القـلوب يتصيدون تلك الآيات المتشـابهة التى تشتبه فى مدلولاتها على التصور البشرى محاولين أن يثنوا فريقا عن طريق الله ٠ وأن يبعدوهم عن الايمان ، وأن يفتنوهم بما يلقون اليهم من تأويلات لهذه الآيات المتشابهة تزلزل دخيلتهم وتهز كيـانهم الدينى وتشككهم فى معتقداتهم ٠٠ أما الراسخون فى العلم الذين علمـوا أن العقـل البشرى محـدود الادراك ، ليس فى مكنته ، مهما ارتقى واستنار أن يصل الى اللب والأعماق ولا أن يستكشف أو يستشف ، وليس فى مقدوره أن يصل وحده الى الهدف والحقيقة والمراد ٠ وأنه أحيانا ما تهب عليه أعاصير فـكرية تحيد به عن الجادة وتقوده الى الضـلال ، وتسوقه الى

---

(١) ص ٦٩ من كتاب « الدعاء في القرآن » لمحمود بن الشريف (سلسلة اقرأ) ٠

الهــاوية ، وانه لا بد له من مدد الهى ، يعينــه ويهديه سواء السـبيل ويكشف له ما دق وخفى عليــه ، هؤلاء الراسخون يعلمون أن ربهم أعلم بمراده من هذه الآيات المتشابهة ، وانه فوق كل ذى علم عليم ، وأن علمهم محدود ، وأنه من العلم ألا يخوض الانسان فيما لايعلم ، لذا يقولون : «آمنا بالمتشابه، آمنا به ايمــانا مطلقا ، ولا نعــلم معناه ، وكل من المتشــابه والمحكم من عند ربنا » ·

فالحكمة من المتشابه هى التحدى ·· تحدى الادراكات والافهــام ·· انالذين يحكمون عقولهم ، وعقولهم فحسب ، يأتى لهم القرآن بشىء أعلى وأسمى ·· تتحير الأفهام وتقصر دونه ·· انه المتشابه ، استأثر الله بعلمه ، والراســخون فى العلم ، وهم أولى النــاس بالتبرير والتخريج ــ يمتنعون ، ويسلمون ، ويذعنون ، قائلين فى ايمان عميق وتصديق تام· « **كل من عند ربنا** » ·

على أن هناك حكمة أخرى للآيات المتشابهة تدل عليها تلك الآية السالفة اذ الآياتالقرآنية المتشابهة ، لايمارى فيها الا ذووا الايمان المريض والعقيدة المنحرفة ، وهى نور يحــوم حوله هوام الانسانية ، وضوء كاشف تظهر تحته نفسيات المارقين والمستغلينالذين يبتعدون عنالمحكم الواضح ويتبعون التشابه ويؤولونه حسب مخططهم العدائى ، ليفتنوا به الخلق عن الحق ويبعدوا به الناس عن دين رب الناس » ·

القرآن .. وأهل الكتاب

أهل الكتاب هم العقائديون الذين عاصروا الدعوة المحمدية هم بقايا الأديان التى سبقت الاسلام ، كان بعضهم يحمل نصوصا دينية آلت اليه من ميراثه العقيدى ، حافظ عليها بدافع من وجدانه المركوز فى أعماقه ، فحفظها ، وان كانت أصبحت - كما يقال - غير ذات موضوع ، اذ أن كل شريعة تنسخ **بموت الرسول** الذى جاء بها بمجىء رسول آخر .

على أن النصوص التى بين أيدى أهل الكتاب بشرت برسالة محمد وحددت اسمه النصوص السليمة الصحيحة الأصيلة التى لم تعبث بها أيدى المحرفين ولا أقلام المغرضين المؤولين فكان من أصالة الرأى وسلامة المتجه أن يكونوا أسرع من غيرهم فى الايمان بمحمد والتصديق برسالته وأن يكونوا درع الدعوة الاسلامية اذ تجمعهم بالمسلمين رابطة: هى رابطة الكتاب المقدس والرسول المنزل ، فهم أقرب الى المسلمين من غيرهم من اللادينين ومن عبدة الأوهام والأوثان .

وقد كشفت آيات كثيرة من آى الذكر الحكيم عن موقف أهل الكتاب من القرآن وموقف القرآن منهم : طائفة أجابت داعى الله .. **(واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله ، وما جاءنا من الحق ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، فأثابهم**

الله بما قالوا جنات تجرى من تحتهـا الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) (١) .

قلة : سمعت .. فعرفت . .فآمنت .. فجوزيت .

هى قلة من أهل الكتاب سمعت ما أنزل على رسول الله من آيات الله .. فعرفت أنه الرسول المبشر به فى كتبهم ، وأن ما أنزل عليـه حق ، فآمنت بالحق المنزل من عنـد الله فأثابهم الله بقولهم وايمـانهم بالحق والله هـو الحق المبين **« من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسـجدون يؤمنون بالله واليـوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينـهون عن المنـكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين » (٢) .**

« ولو آمن أهل الـكتاب لـكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون » (٣) .

وطائفـة عز عليهـا أن تفلت من بين أيديهـا الرئاسة والسيادة والصولجان والمظهرية فأصرت على الوهم وأقامت على النكران **« ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون (٤) » « ولما جاءهم كتاب من عنـد الله مصدق لـما**

---

(١) آية ٨٤ من سورة المائدة
(٢) آية ١١٤ من سورة آل عمران
(٣) آية ١١٠ من سورة آل عمران
(٤) آية ١٠١ من سورة البقرة

معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » (١) ٠

وأخرى حرفت وبدلت « **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله»** (٢) « **و ان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب ، وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** (٣) » ٠

وفريق نضا عنه ثوب العقيدة ونفض يديه مما معه من نصوص الهية فانحرف وآمن بالطاغوت وكفر بالألوهية وغدا حربا على القرآن « **ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا** » (٤) ٠

ثم يبرز موقف اليهود ويلقى كثيرا من الأضواء على تحريفهم الآيات الماضية ومحاولاتهم تحريف آيات القرآن ٠ والتحريف طبيعة ثابتة لدى اليهود من قديم ، أيام موسى حرفوا التوراة ، وبدلوا فيها ٠٠ وفريق منهم سمع القرآن، وفهمه وعقله ثم حاول التحريف ، ولو كان التحريف عن جهل

---

(١) آية ٨٩ من سورة البقرة

(٢) آية ٧١ من سورة البقرة

(٣) آية ٧٨ من سورة آل عمران

(٤) آية ٥٠ من سورة النساء ٠

لكان الأمر أهون ولكنه تحريف عن قصد وعمد وعلم ، عقلوا .. وعملوا فكان هذا دليلا بالغا على اصرارهم على الكفر واقامتهم على الاثم ونصا فى التعمد وسوء القصد ، ولذا بعد أن كشف القرآن نفسية هؤلاء المحرفين وكشف صنيعهم للمؤمنين أنكر على المؤمنين ذلك الأمل الذى يعتمل فى صدورهم من ايمان هؤلاء الذين تربطهم بهم صلة العقيدة التى تصدق بالوحى والبعث وتؤمن بالألوهية فقال تعالى : **« أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون »** (١) .

« من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا ، واسمع غير مسمع ، وراعنا ، ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين ، ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا » (٢) .

ومن قبل ذلك دعا الفرقان أهل الكتاب جميعا الى الايمان بالقرآن المصدق لمامعهم من نصوص الهية ، الداعى الى الاسلام والسلام والى دعوة التوحيد التى دعا اليها كل كتاب منزل من قبل **« يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على**

---

(١) آية ٧٥ من سورة البقرة

(٢) آية ٤٩ من سورة النساء

أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت(١) » « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون (٢) » .

القرآن .. والعلم

« ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون (٣) » .

يحلو لبعض الباحثين المحدثين أن يطوع بعض آيات القرآن لتتساوق مع الظواهر العلمية ، ولتتفق فى مفهومها أو منطوقها الظاهرى مع المخترعات الحديثة ومع النظريات العلمية المستحدثة ..

ثم خطا بعضهم خطوات ، فأظهر عدة تواليف اجهد نفسه فيها واتجه بهاتيك الآيات القرآنية اتجاها علميا محضا، فحمل الالفاظ ما لا تطيق ووجه المعانى وجهة تتواءم مع الوجهات العلمية المتعارف عليها أو المسلم بها .

ان هذا العمل مغالاة !! وذلك الصنيع ، وان كنا نحمد لأصحابه نيتهم وهدفهم الا أننا لسنا معهم ، ولكل وجهته ،

---

(١) آية ٤٧ من سورة النساء
(٢) آية ٦٤ من سورة آل عمران
(٣) آية ٥٢ من سورة الأعراف

فكتب العقيدة لا يطلب منها أن تطابق مسائل العلم لا سيما وأن العلوم متطورة تتجدد مع الزمن على سنة التقدم، فلا تزال العلوم الانسانية بين ناقص يتم وغامض يتضح وموزع يتجمع وخطأ يقترب من الصواب وتخمين يترقى الى اليقين ، وما من نظرية علمية الا وهى عرضة للنقد أو للنقض – ان لم يكن اليوم فغدا ، اذ العلم متطور متجدد لا تقف نظرياته عند حد، فماذا يكون موقف هؤلاء لو وجد في المستقبل ما يهدم النظريات العلمية المسلم بها الآن ؟!

والمرحوم الاستاذ العقاد أثبت فى كتابه « الفلسفة القرآنية » ان القرآن ليس فى حاجة الى مثل اتجاهات هؤلاء لأنه كتاب عقيدة يخاطب الضمير ، وخير ما يطلب من كتاب العقيدة فى مجال العلم أن يحث على التفكير ولا يتضمن حكما من الأحكام يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم .

والقرآن الكريم يطابق العلم ، أو يوافق العلوم الطبيعية بهذا المعنى الذى تستقيم به العقيدة ولا تتعرض للنقائض والأظانين كلما تبدلت القواعد العلمية أو تتابعت الكشوف بجديد ينقض القديم أو يبطل التخمين .

وتحت عنوان « أى علم يقصده القرآن » يقول الاستاذ محمد شديد فى كتابه « منهج القرآن فى التربية (١) » : « والعلم الذى يشيد به القرآن ويدعو اليه هو العلم بمفهومه

(١) ص ١٣٧

الشامل الذى ينتظم كل ما يتصل بالحياة ولا يقتصر على علم الشريعة أو العلم الدينى كما يتبـادر الى بعض الاذهان ، أو ما ذاع فى عهود التخلف عن القرآن ، فقد دعا الى النظر فى ظواهر الوجود ومظاهر الحياة ، كمـا دعا الى دراسة الكائن البشرى : « **وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون (١)** » .

ووجه الى علم النبـات والجماد والحيوان والأجنـاس : « **ألم تر أن الله أنزل من السـماء ماء فأخرجنـا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، انمـا يخشى الله من عبـاده العلمـاء ان الله عزيز غفور (٢)** » .

وجعل من الكون كتابا للمعرفة ووجه القلوب والعقول والأبصار الى بدائع صنع الله فيه ، ودعا الى التفكير فى آياته، واستكناه أسراره وفهم نظمه ونواميسه ، ففتح بهذا العرض والتوجيه باب العـلم وحرر العقول والتفـكير من أسر الجمود والجهل وأغرى بالبحث والدراسة والعـلم ، فلقـد خلق الله سبحانه كل شىء وسيره وفق قانون ، وهيأ الانسان لمعرفة هذا القانون واستعماله بما فطره عليـه من استعداد لفهمه وتسخيره .

---

(١) آية ٢٠ ، ٢١ من سورة الذاريات

(٢) آية ٢٧ ، ٢٨ من سورة فاطر .

ولعل فى قصة سليمان مع ملكةسبأ حين أراد أن يحضر عرشـها من مكانه باليمن قبـل حضورها اليـه بمقر ملكه بفلسطين لفتـة عجيبة موحية من لفتـات القرآن التى تعتبر مفاتيح أسرار الـكون ، لتوجيه العقول الى التفكير والدراسة والكشف : «**قال يأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيـك به قبـل أن تقـوم من مقـامك وانى عليـه لقوى أمين ، قال الذى عنـده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليـك طرفك ، فلمـا رآه مستقرا عنده قال هذا من فضـل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شـكر فانما يشـكر لنفسـه ، ومن كفر فان ربى غنى كريم**» (١) ٠

وهذا العمل ــ نقل عرش ملكة من قطر الى قطر فى أقل من لمح البصر ــ لا يعرضـه القرآن على أنه عمـل من أعمال السحر ولا قامت به قوة من قوى الجن ، ولا معجزة تمت على يد نبى ، ولكنه عمل قام به عالم على أساس علمى فيما يبدو من الآية الكريمة ، وهو توجيه الى أن الانسان بالعلم يستطيع أن يصل الى تسـخير كثير من قوى الـكون متى توصل الى معرفة قانونها ٠ وذلك هوالذى صنعه صاحب سليمان ، وقد استطاع العـلم الحديث أن ينقل الصوت على موجات الأثير ، ثم تمكن أخيرا من نقل الصور ، ويحاول العلماء الوصول الى نقل الأجسام بنفس الأسلوب كما صنع عالم سليمان ، وليس

---

(١) سورة النمل آيات من ٣٨ ــ ٤٠ ٠

من شأن القرآن أن يقدم النظريات والقوانين والوسائل ، ولكنه يبعث على التفكير ويدل على مفاتيح المعرفة وأسرار الكون ويغرى بالتفكير والدراسة والبحث ٠

بعد ذلك لنا أن نتساءل : كيف يكون القرآن كتاب علم صرف ، كما أطلق عليه البعض ــ وهو يحكم بأن علمنا على الرغم من تطوره ومن نظرياته وتجاربه ومن فنونه ومجالاته ومن طرائقه ومناهجه ، على الرغم من ذلك كله فانه حكم على كل ذلك بأنه وشل قليل « **وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » فأنى للقرآن أن يكون بعد حكمه على معلوماتنا العلمية بذلك الحكم السالف علميا بحتا وكيف نضفى عليه صفة « العلمانية الصرفة » ٠

وتحت عنوان تفسير القرآن على مقتضى النظريات العلمية يقول المرحوم الامام شلتوت فى تفسيره : « ان طائفة أخرى هى طائفة المثقفين الذين أخذوا بطرف من العلم الحديث ، أو تلقفوا شيئا من النظريات العلمية والفلسفية والصحية وغيرها ، أخذوا يستندون الى ثقافتهم الحديثة ويفسرون آيات القرآن على مقتضاها ، نظروا فى القرآن فوجدوا الله سبحانه وتعالى يقول : « **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** » فتأولوها على نحو زين لهم أن يفتحوا فى القرآن فتحا جديدا ، ففسروه على أساس من النظريات العلمية المستحدثة ، وطبقوا آياته على ما وقعوا عليه من قواعد العلوم الكونية ، وظنوا أنهم بذلك يخدمون القرآن ، ويرفعون من شأن الاسلام ،

ويدعون له أبلغ دعاية فى الأوساط العلمية والثقافية • »

نظروا فى القرآن على هذا الأساس فأفسد ذلك عليهم أمر علاقتهم بالقرآن وأفضى بهم الى صور من التفكير لا يريدها القرآن ولا تتفق مع الغرض الذى من أجله أنزله الله ، فاذا مرت بهم آية فيها ذكر للمطر ، أو وصف للسحاب ، أو حديث عن الرعد والبرق تهللوا واستبشروا وقالوا : هذا هو القرآن يتحدث الى العلماء الكونيين ، ويصف لهم أحدث النظريات العلمية عن المطر والسحاب وكيف نشأ وكيف تسوقه الرياح ، واذا رأوا القرآن يذكر الجبال أو يتحدث عن النبات والحيوان وما خلق الله من شيء قالوا : هذا حديث القرآن عن علوم الطبيعة وأسرار الطبيعة ، واذا رأوه يتحدث عن الشمس والقمر والكواكب والنجوم قالوا : هذا حديث يثبت لعلماء الهيئة والفلكيين أن القرآن كتاب علم دقيق •

ومن عجيب ما رأينا من هذا النوع أن يفسر بعض الناظرين فى القرآن قوله تعالى : « **فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم** » بما ظهر فى هذا العصر من الغازات السامة والغازات الخانقة التى أنتجها العقل البشرى فيما أنتج من وسائل التخريب والتدمير ، يفسرون الآية بهذا ويغفلون عن قوله تعالى بعدها : « **ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون** » • روى أن رجلا جاء الى

ابن مسعود وقال له : تركت فى المسجد رجلا يفسر القرآن برأيه ، يفسر قوله تعالى : « **فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين** » بأن الناس يوم القيامة يأتيهم دخان فيأخذ بأنفاسهم حتى يأخذهم كهيئة الزكام فقال ابن مسعود : من علم علما فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ، انما كان هذا لأن قريشا استعصوا على النبى صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم بسنين كسنى يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد » .

وأغرب من هذا وأعجب أن يفسر بعض هؤلاء المفسرين الحديثين شأنا غيبيا من شئون الله الخاصة لم ينزل بتفصيله وحى ، ولم يطلع الله على حقيقته أحدا من خلقه ، ببعض الظواهر الحاضرة التى اكتشفها العلم واهتدى اليها بنو الانسان يفسر : « **الكتاب المبين** » و « **الامام المبين** » الذى تحصى فيه الحسنات والسيئات ويعرض على أصحابها يوم القيامة بالتسجيل الهوائى للأصوات ، ويقول : اظهر العلم ذلك بالمخترعات البشرية واستخدمه الانسان فيما يختص بالأصوات : ولا يبعد أن يستخدمه فيما يختص بحفظ الحركات والسكنات والخواطر النفسية ، والله القادر خلق الكون على هذه السنن لغاية أسمى من ذلك ، هى محاسبة الناس يوم القيامة وعرض أعمالهم عليهم كشريط مسجل يضم جميع حركات الناس وسكناتهم وخواطرهم وأقوالهم وما قدموا من عمل .

يقولون هذا ويفسرون به قوله تعالى : « **علمها عند ربى فى كتاب لا يضـــل ربى ولا ينسى** » وقوله تعالى : « **وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا** » ويهجمون على الغيب بما لم يأذن به الله ، ويجدون من العلمــاء من يؤيدهم ويشــجعهم ويزكيهم ويتمنى أن يكثر الله من أمثالهم !!

ان هؤلاء فى عصرنا الحديث لمن بقايا قوم سالفين فكروا مثل هذا التفكير ، ولكن على حسب ماكانت توحى به اليهم أحوال زمانهم ، فحاولوا أن يخضعوا القرآن لما كان عندهم من نظريات علمية أو فلسفية أو سياسية ٠

ولسنا نستبعد ـ اذا راجت عند الناس فى يوم ما نظرية « داروين » مثلا ـ أن يأتى الينا مفسر من هؤلاء المفسرين الحديثين فيقول : ان نظرية دارون قد قال بها القرآن منذ مئات السنين !!

جوانب الخطأ فى هذا الاتجاه :

هذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك ، لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتـــابا يتحدث فيه الى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف ٠

وهى خاطئة من غير شك ، لأنها تحمل أصحابها والمغرمين

بها على تأويل القرآن تأويلا متكلفا يتنـافى مع الاعجاز ولا يسيغه الذوق السليم ٠

وهى خاطئة ، لأنها تعرض القـــرآن للدوران مع مسائل العلوم فى كل زمان ومكان والعلوم لا تعـــرف الثبات ولا القرار ولا الرأى الأخير ، فقـــد يصبح اليـــوم فى نظر العلم مايصبح غدا من الخرافات ٠ فلو طبقنا القـــرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة لعرضناه للتقلب معها وتحمل تبعات الخطأ فيهـا ، ولوقفنا أنفسنا بذلك موقفـا حرجا فى الدفاع عنه ٠

فلندع للقرآن عظمته وجـــلاله ، ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته ، ولنعلم أن ماتضمنه من الاشارة الى أسرار الخلق وظواهر الطبيعة انما هو لقصد الحث على التأمل والبحث والنظر ، ليزداد الناس ايمانا مع ايمانهم ٠

وحسبنا أن القرآن لم يصادم ــ ولن يصادم ــ حقيقة من حقائق العلوم تطمئن اليها العقول ، قيل يارسول الله ، مابال الهـــلال يبدو دقيقا مثل الخيط ، ثم يزيد حتى يعظم ويستوى ويستدير ، ثم لايزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حالة واحدة ؟ فنزل قوله تعالى : « **يسألونك عن الأهلة ، قل هى مواقيت للناس والحج ٠ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى ، وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون** » ٠ وانك لتجد هذا فى سؤالهم عن الروح حيث يقول الله عز وجل : « **ويسألونك**

عن الروح ، قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

أليس فى هذا دلالة واضحة على أن القرآن ليس كتابا يريد الله به شرح حقائق الكون ، وانما هو كتاب هداية واصلاح وتشريع ؟ » .

رباط .. وهدف :

من هذا نخلص الى أن الهدف القرآنى لم يكن علميا بحتا ولا ثقافيا محضا ولا اجتماعيا خالصا ولا اقتصاديا فحسب، انما كان مزيجا من ذلك كله يهدف الى خدمة المجتمع وتنظيمه واصلاح مايتصل به من عقيدة وخلق ومنهج وسلوك ومبادىء وقواعد .

فليس موضوع القـــرآن العقيدة وحدها حتى يبينها فى جزء مستقل أو فصل خاص .

وليس موضوع القرآن العلم وحده ، ولا السلوك وحده ، ولا الواجب وحده ، ولا الحق وحده ، انما هو أمشاج من ذلك كله تربط المجتمع برباط وحدة العقيدة الاسلامية .

فمن العنت ، اذن أن نبحث عن رباط واحد أو صلة واحدة بين آيات القـــرآن بعضها وبعض أو أن نبحث عن وحـــدة واحدة تجمعها جميعا ، كما حاول ذلك البقاعى فى تفسيره الذى أسماه « نظم الدرر فى تناسب الآيات السور » المشهور

بمناسبات البقـــاعى المتوفى سنة ٨٨٥ هـ (مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٢٨٥ تفسير) ٠

فاجهد نفسه واجهد الآيات القرآنية وتكلف مناسبات تربط الآية بما قبلها وبما بعدها فى آصرة واحدة ٠

والقـرآن قد نزل منجما على حسـب الحـوداث والاحداث يأتى بالحكم الحاسم الحازم فى كل أمر من الأمور أراد الله أن ينزله على عباده أو طلبوا هم من الرسول الفتوى فيه أو سألوا الحكم عنه .

ثم هذه الآيات التى نزلت حسب مقتضيات الحال ومطالب المجتمع اذ ذاك ، رتبت وجمعت فى سور حسب أمر رسول الله بعد ان الزمه الوحى بهذا الترتيب فكان النبى يأمر الكتاب والمسلمين بأن تكون الآية فى الموضع الذى قرره لها المولى سبحانه وتعالى .

يقول الشيخ شلتوت (فى تفسيره ص ٦١٤) : « ونحن نؤمن بعد دراسة كتاب الله أنه فى تفصـيل سوره وآياته وترتيب سوره وآياته لم يكن أثرا لاجتهاد مجتهد وانما كان توقيفا ووحيا أمر به النبى ونفذه قبل أن يلتحق بالرفيق الأعلى » .

وقد قسم القرآن الى سور بلغ عددها أربع عشرة ومائة سورة ، أولها الفاتحة وآخرها سـورة الناس .. وتتألف كل سورة من آيات ، وقد بلغ مجموع ما فى القرآن

من آيات « ٦٣٤٢ » آية منها خمسمائة آية فقط تتعلق بالأحكام والتشريع .

وأول ما نزل منه قوله سبحانه وتعالى : ((**اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم**)) .

وآخر ما نزل منه قوله سـبحانه وتعالى يوم « حجة الوداع » « **اليـوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسـلام دينا** » ٠هذا فى التشريع واما الآخر على الاطلاق : قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت » ٠

أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم مجزءا من ليلة السابع عشر ـ على أرجح الاقوال ـ من رمضان للسـنة الحادية والاربعين من ميلاده الى التاسع من ذى الحجة يوم الحج الأكبر للسنة العاشرة من الهجرة والثالثة والستين من ميلاده عليه السلام .

ان الكثير من الآيات كانت حسب حالة تطلبتها ، فقد تظهر ظاهرة تقتضى حكما ، أو تجد مشكلة تتطلب حلا ، وآنئذ يلجأ المسـلمون الى الرسول يسألونه الحكم العدل والقول الفصل ، وبوساطة الوحى الالهى ينزل القرآن حكما عدلا وقولا فصلا فى هذه الظواهر والمشكلات وغيرها كما قد ينزل أمرا أو نهيا أو وعدا أو وعيدا ، والرابطة التى

تجمع ذلك كله انما هى مقتضيات الاحوال ـ ان صح ذلك التعبير ـ وان جاز لنا أن نبحث عن علاقات الآيات فاننا نتلمسها تحت ضوء مفهوم عام أو حقيقة كلية قررها الفرقان فى مفتتح سوره أو توج بها مطلع آيات انضوت تحت مبدأ عام فرعته تلك الآيات فيما بعد .

ألوان تشريعية :

وها هى ذى سورة من سوره نسوقها مثالا على ذلك، سنستعرض فى ايجاز بعض ما تضمنته من ألوان تشريعية، وبما حفلت به من مفاهيم عامة وقواعد كلية تخطط وتنظم .. وتهدى .. وتنير .. يجمعها كلها أنها تقنين الهى وتشريع قرآنى يهدف الى اصلاح النفس وصلاح المجتمع .

.هذا الهدف الاصلاحى يتجلى فى جل سور القرآن .

وها هى ذى شرائح قرآنية من سورة من سور القرآن الطوال ـ سورة النساء ـ نقدمها نموذجا نستشف منه المنهج القرآنى فى الاصلاح والتشريع وتتراءى لنا من خلال آياتها المفاهيم الاسلامية التى ارسى بها القرآن أسس الاصلاح الاجتماعى والشريع العقائدى ؛ فالسورة تتحدث فى مفتتحها عن الأسرة وتكوينها وعن الزواج والمهر والوصية والميراث . وحديث القرآن عن الميراث حديث عجب ، راعى فيه القرآن المستويات البشرية وأعطى لكل ذى حق حقه الذى فرضه له من غير ما حيف أو حرمان .

اتجاهات انسانية فى ذلك التشريع العدل الذى بزت به الشريعة الاسلامية غيرها فى ذلك الميدان ، فأبانت من يرث ومن لا يرث ومن يحجب ومن يحجب غيره ، وفصلت موقف الاصول والفروع من المتوفى ونصيبهم فى تركته ووصيته .. كل ذلك فى دقة عجيبة جلاها القرآن وشرعها فى وضوح وعدالة وحدد لكل نصيبه المقسوم فلا حيف ولا جور .

«يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين ، فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ، وان كانت واحدة فلها النصف ، ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد ، فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث ، فان كان له أخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين ، آباؤكم وأبناؤكم : لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا ، فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ، ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ، ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ، وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس ، فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم» .

ثم يختتم القرآن تلك الحيثيات الالهية والمواد

التشريعة القرآنية بالحفاظ عليها والتحذير من مخالفتها ومن الخروج عليها لأنها تشريعات الله وحدود خطها الله .

فقال : « **تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورســوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالداً فيها وله عذاب مهين** » .

ثم تمضى سورة النساء متحدثة عن النساء ، وعن المحصنات منهن ، وعن انحراف بعضهن ، ونشوزهن ، وطريقة الصلح والاصلاح التى تتبع حيال هذا الفريق الناشز .

« **فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتى تخافون نشــوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سـبيلا ان الله كان عليا كبيرا ، وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمـا من أهله وحكما من أهلها أن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا** » .

« فالصالحات (١) من النســاء فى نظر الفرقان : خاضعات مطيعات لأزواجهم ، مؤديات حقــوقهم حافظات للعلاقة الزوجية من الاثم والدنس ، امينات على ما يقع بينهم وبينهن فى الخلوة من حديث أو نجوى ، ملتزمات

(١) ص ٢٧ من كتاب « الإسلام والحياة الجنسيه » لمحمود بن الشريف

حدود الشرع التى تكفل صيانة ذلك الرباط المقدس ، ويكنن لأزواجهم ــ وهم غائبون عنهن ــ أشد اخلاصا وأعظم وفاء .
وبعد أن كشفت هذه الأية القرآنية صفات القانتات المطيعات مضت تبين حال اللائى خرجن عن الطاعة ورفعن راية العصيان وقاومن الأوامر ، ووصفت علاج النشوز والمخالفة ، فجعلت الهجر فى المضاجع عاملا من عوامل اصلاح الزوجة وتأديبها ، وجعلته فى المرتبة الثانية بعد الوعظ بالقول اللين التى يليها أخيرا العقاب البدنى ، والقرآن بذلك العلاج المتدرج المترابط يضع أول لبنة من لبنات التحليل النفسى ، فقد كشف لنا النفوس البشرية وأبان اختلاف الأمزجة وتباين الطبائع وأن ما يوائم طائفة منها قد لا يلائم الثانية ، وان ما يتعارض مع هذه قد يتفق مع تلك فلم يصف لها علاجا واحدا ، بل أعطى لكل داء ما يلائمه من دواء ولكل نفس ما يتفق وطبيعتها ، فبعض نفسيات النساء ينفع فى زجرها كلمة أو قولة أو نظرة فما تلبث أن ترجع وتذعن ، ونفسيات ثانية لا يجدى معهـا رقيق القول ولا لين الكلام ، وهذه شرع لها عقاب نفسى ــ وهو الهجر فى المضاجع ــ وهل هناك أشد ايلاما لنفس الأنثى من هجر زوجها لمضجعها ؟ وكم من ظنون تنتابها آنئذ وكم من هواجس تتلقفها وتتقاذفها ؟ هل ضعفت فتنتها بحيث لم تؤثر على رجلها ؟ هـل قلت أسلحتها الانثوية من اغـراء وأنوثة وحيوية ؟ وهل تملك من فقدت أسلحتها ــ أو تخيلت ان تجارتها نفقت وبارت ــ الا الخضوع والاستسلام ؟ وهناك نوع تحجرت عاطفته وتبلدت مشاعره لا يجدى فيه هـذا العقاب النفسى ولا يتأثر بهذا الهجر المضجعى .. ذلك الصنف شرع

القرآن لتأديبه العقاب البدني بالضرب .. الضرب الرحيم الرفيق المقصود به التأديب لا التشفي والانتقام .

واليه يشير ختام الآية : **ان الله كان عليا كبيرا** » كأنه يقول : تذكروا يامن بيدكم السلطان ويامن شرع لكم الضرب ويا من أعطى لكم هذا الحق أن هناك قادرا عليا كبيرا سيحاسبكم ، وستقفون بين يديه طالبين العفو سائلين المغفرة والصفح ، فارحموا من قدرتم عليهن ليرحمكم القدير عليكم» .

ومع هذه التشريعات الأسرية الاجتماعية ، تشريعات كذلك ، لدنيا المال والاقتصاد والتجارة محاطة بسياج من ترغيب وترهيب هدد فيها من يعتدى على مال الغير أو يغتصب حق الشريك أو يأكل المال بالباطل ، نهى القرآن .. وهدد .. وأوعد .. بعد أن وعد ونصح وأرشد فقال :

« يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما ، ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا .. أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » .

ثم تمضى الآيام مشخصة بعض أمراضنا الاجتماعية فتتحدث عن الاختيال والفخر والبخل بنوعيه المادى والعلمى وعن الرياء والنفقة الكاذبة :

« ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ، الذين يبخلون

ويأمرون النـاس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضـله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ، والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا » .

وتختتم الآيات بوصف العلاج فى « روشتة » الهية كلها حنان ورفق وتوجيه ورحمة ، وركزت الدواء فى الايمان بالله والانفاق من رزق الله فقالت : « **وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما » .**

تشريعات حددت ـ فيما حددته ـ العـلاقة بين الحـاكم والمحكوم .. علاقة اطارها عدالة من الحاكم وطاعة من المحكوم، وكانت تلك العلاقة هى الأمانة يؤديهـا كل من الطرفين الى الآخر : « **ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا ـ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » .**

ثم الطاعة من الجميـع لرب الجميع : « **ومن يطع الله والرسـول فأولئـك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » .**

والخير بجانب الشر ، والفضيلة مع الرذيلة ، فلا جرم أن

تمضي آيات تلك السورة الى ميدان المناجزة والطعان تبين الخطط القتالية والعمليات الحربية وطبيعة المعركة وتكشف للمؤمنين نفوس المتحاربين وموقف الأعداء المستترين : « **يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا ، وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا ، ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما ، فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ، وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ، الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا ، ألم تر الى الذين قيل لهم : كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ، وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب ، قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ، اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة** » .

ثم تمضى آيات الحرب والقتال محرضة المؤمنين على القتال كاشفة موقف المثبطين والمنافقين أيام الجهاد والجلاد ومؤامراتهم

ومناوراتهم ، والتوصيات الالهية التى يجب أن يلتزم بها المسلمون المقاتلون حيال هؤلاء المضللين المخادعين .

وفى وقت الحرب لا ننسى الفرائض لتربطنا بالله ، لذا تحدث القرآن عقيب ذلك عن صلاة الحرب فقال : « **واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ، ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم ، وخذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا** » .

وقبل أن تتعرض آيات تلك السورة الى تبيان المواد القانونية فى التشريعات الجنائية الاسلامية صدرتها بحكمة انسانية وأصل قانونى يقرر ان المؤمن لا يقتل المؤمن ، فنفسية المؤمن صافية تبنى وتعمر ، لا تقوض ولا تدمر .. نفس حانية بناءة ، كلها سلام وخير ، وكلها أمان وبر ، لا تنزلق الى مهاوى الجريمة ولا تنحرف الى الاعتداء والبغى .

فلا جرم ان صدر المشرع الحكيم قانون الجنايات الاسلامية بقول : « **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ** » وبعد ذلك الأصل الاسلامى الانسانى تمضى الآية مبينة أحكام القتل الخطأ ، وهى أحكام تحمل بين طياتها منازع انسانية ، فدية

القتل الخطأ تحرير رقبة ، لفك الاسار عن العبودية ، لتتحرر الانسانية من رق الغير فلا عبودية الا لله .

أودية مسلمة الى أهل القتيل لعلها تنزع السخائم من النفوس ، ويكون فيها بعض التعويض : فلا ثأر ولا حقد ، فيعيش الجميع فى سلام ووئام .

أما اذا تصدق أهل القتيل بالدية أو تنازلوا عنها ، فتلك انسانية سامية عبر عنها القرآن فى ايجاز وتركيز بقوله : « **الا أن يصدقوا** » .

والنفس الانســـانية المؤمنة لهـــا قيمتها فى التشريع الاسلامى ، لذلك حاطها بسياج منيع من الحماية وخط لهـا ماكفل لها الحياة وتوعد مزهقها بشتى ألوان العقاب : « جزاؤه جهنم » وهذه العقوبة لن ينالها التخفيف بل التخليد وبجانب التخليد ما هو أقسى وأمر : غضب الله ولعنته : « **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما** » .

ونكتفى بعرض هذه الشرائع القرآنية من سورة واحدة لتبيان منهج الفرقان وهدف التنزيل الالهى فى الاصـــلاح والتقنين والتشريع الذى لم تكتمل مواده دفعة واحـدة أو فى سورة واحدة بل أنزلت أحكامه ومواده مفرقة وحسب الوقائع والأحوال غالبا .

صفات .. وسمات

فى كتاب الله مواطن متفرقة تجمعها وحدة وأحدة ، فقد عددت آيات من القرقان مختلف السمات التى وصفت القرآن والنعوت التى تفرد بها ذلك الكتاب الكامل فأبانت أنه : ذكر وذكرى : « **ان هو الا ذكر للعـــالمين** (١) » **وانه لذكــر لك ولقومك** (٢) » « **والقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا** (٣) » « **ان هو الا ذكرى للعـــالمين** » (٤) « **لتنـــذر به وذكرى للمؤمنين** » (٥) .

هو حق : « **لا يأتيه البــاطل من بين يديه ولا خلفـه تنزيل من حكيم حميد** » .

هو للمؤمنين نعمة وهدى ورحمة ، وهو على الكافرين نقمة . « **ولا يزيد الظالمين الا خسارا** » .

جمع فأوعى : « **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** »(٦) **وفيه** تبيان لكل شىء : « **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء**» (٧) .

هو فصل مفصل : « **انه لقول فصل** » (٨) **ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم** « (٩)

هو موعظة ونور وشفاء لما فى الصدور : « **يأيها الناس**

---

(١) آية ٢٧ من سورة التكوير
(٢) آية ٤٤ من سورة الزخرف
(٣) آية ٤١ من سورة الاسراء
(٤) آية : ٩ من سورة الانعام
(٥) آية : ٢ من سورة الاعراف
(٦) آية ٣٨ من سورة الانعام
(٧) آية ٨٩ من سورة النحل
(٨) آية ١٣ من سورة الطارق
(٩) آية ٥٢ من سورة الاعراف

قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهـــدى ورحمة للمؤمنين » (١) « **يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا »** (٢) .

« انه كتاب (٣) متشـــابه مثان ، ومعنى تشـــابهه ان بعضه يشبه بعضا فى قوة نســـجه ، وعمق تأثيره واحكام بلاغته ، فكل جزء مؤثر بألفاظه وأفكاره وأخيلته وتصويره ، ومعنى انه مثان ان ما فيه من معان يثنى فى مواضع مختلفة ومناسبات عديدة ، فيكون لهذا التكرير أثره فى الهـداية والارشاد ، وهو بهذا التكرار يؤدى رسالته التى جاء من أجلها، ولذا كان تشابهه وتكرير ما جاء به من عظات مؤثرا أكبر الأثر فى القلوب حتى لتقشـعر منـــه جلود أولئك الذين يتدبرونه وتنفعل له قلوبهم ثم لا يلبثون أن تطمئن أفئدتهم الى هداه ، وتهدأ نفوسهم الى ذكر الله : « **الله نزل أحســـن الحديث كتابا متشابها مثانى ، تقشعر منـــه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء »** ويعرف القرآن بما له من تأثير قوى بالغ حتى لتتأثر به صم الحجارة ان أدركت معنـــاه : « **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصـدعا من خشية الله »** .

---

(١) آية ٥٧ من سورة يونس
(٢) آية ١٧٤ من سورة النساء
(٣) ص ٢٨٤ من كتاب من بلاغة القرآن

والقرآن هاد للبشرية وللانسانية جميعا ، ينتشلها من وهدة الظلام الى ذروة النـور وسناء الاشراق « **كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور** » .

والقرآن هـدى ، له فعاليـة فى النفس ، وسحر ، وسلطان فى الوجدان . جاء (١) عقبة بن ربيعة الى رسـول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« يا ابن أخى انك منا حيث قد علمت من البسطة فى العشيرة والمكان فى النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها ، لعلك تقبل منى بعضها » .

فقال له رسول الله :

« قل يا أبا الوليد اسمع » .. قال : « يا ابن أخى ، ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد به شرفا سودناك (٢) علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذى يأتيك رئيا (٣) تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربمـا غلب التـابع على الرجل حتى يداوى منه » فقال له الرسول صـلى الله عليه وسلم : أقد

---

(١) ص ٣١٢ من سيرة ابن هشام

(٢) اى جعلناك سيدا علينا

(٣) مرضا بسبب مس من الجن

فرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم ، قال فاسمع منى ، قال : قل فقال : بســـم الله الرحمن الرحيم ، **حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ، وقالوا : قلوبنـــا فى أكنة مما تدعونا اليه ، وفى آذاننا وقر ، ومن بيننـا وبينك حجاب ، فاعمل اننا عاملون** » • وظل الرسول يقرأ ٠٠ «وكان(١) عقبة يصغى وينصت ملقيا يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه وقد ملكت عليه نفسه تلك الآيات البينات الآمرة تارة الناهية تارة أخرى التى تقرع أذنيه بتوقيع ومقاطع غريبة عليه كل الغرابة ، وعقدت الدهشة من حركات عتبة فبقى على حاله ساكنا لا يريم ، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة منها ، فسجد ، ثم قال لعتبة : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك ، فقام عتبـة الى قومه خائرا مشدوها وقد تغير وجهه فقالوا له : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ فقال : ورائى انى سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعونى ، وخلوا بين هــــذا الرجل وبين ما هو فيه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به • فقالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، فهز كتفيه وتركهم قائلا : هــذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم » •

---

(١) من كتــاب محمد رســـول الله ترجمـة الدكتور عبد الحليم محمـود • والدكتور محمد عبد الحليم •

ثم اذا أضيف الى الايقاع القرآنى حسن الترتيل كان للفرقان وقع أشد وتأثير أبلغ ولا عجب ان أمر بذلك القرآن فقال « ورتل القرآن ترتيلا » ٠

لذا كان أبو بكر رضى الله عنه حينما يقرأ القرآن فى بيته بمكة كان ينعمد أن يجود قراءته ويتمهل فى تلاوته حتى تصل الى الأذهان المرهفة التى كانت محيطة به والى قلوب بعض المشركين الذين كان يعلم ان قراءته تصل الى مسامعهم ، وما كان يرجو من وراء ذلك الا أن يؤثرعليهم بروعة التنزيل وحلاوة الترتيل فيأتوا مسلمين مستسلمين ، وقد كان له ما أراد حتى ضجت قريش وضاق رؤساؤها بصنيعه فبيتوا أمرهم بليل وتظاهروا على اخراجه من مكة لولا أن قطع عليهم « ابن الدغنة » ما حاكوه باعلانه حمايته لابى بكر ٠

شفاء ٠٠ ورحمة للمؤمنين

« وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الا خسارا » ٠ (١)

آن التعبير القرآنى فى هذه الآية الكريمة قد وضع حدا لذلك الخلاف الذى أثار عجاجته اتجاهات بعض المفسرين ، فالبعض منهم نظر الى منطوق الآية وظاهرها وتغلبت عليه عاطفته الدينية فأثبت أن القرآن شفاء ٠٠ شفاء لعديد من الآلام والأسقام ودواء ناجع نافع لبعض

---

(٢) آية ٨٢ من سورة النساء

الأوصاب الجسدية الجسيمة ، وآزره فى هذا المذهب وذلك الاتجاه ما ورد من أحاديث حول التداوى ببعض آيات القرآن وألفاظه ·

واستبعد آخرون تلك الوجهـــة ، وقالوا : ان القرآن كتاب هدى روحى وتوجيه معنوى وليس مبضــــعا جراحا يستأصل عفنا أو جرعة تذهب سقما ، وأول كل ما جاء من أحاديث تخالف وجهته ·

والحق ان المتأمل فى التعبير القرآنى فى هذه الآية يجد فيه الفيصل فالآية تقول : « **وننزل من القرآن ما هو شفاء** » منه ، وليس كله ، شفاء ورحمة ، شفاء قد يكون جسديا ، ورحمة قد تكون نفسية ، رحمة من آلام الوجدان والنفس التى قد تكون أقسى من آلام الجسد والحس ·

ليس القرآن كله شفاء جسديا ، ولكن بعضـــه يكون كذلك ويصدق عليه ذلك بحكم ذلك التعبير القرآنى السالف، ثم هو بعد ذلك ليس علاجا شافيا لكل من هب ودب ، بل لمن يحمل خاصية مستقلة وخصيصة معينة وصــــفة شخصتها الآية « **للمؤمنين** » لمن يحمل على كتفيه تبعات الايمان ، ومن يحمل فى أعماقه الاعتقاد المطلق والاذعان التام والتســـليم الكامل والايمان الذى لا حدود له بكل ما جاء فى القرآن ، فكان من القرآن شفاء لما يهمـــه أو يؤلمه ولما يؤرقه أو يقلقـــه · والاعتقاد ــ كما أثبت الطب النفسى الحديث ــ من أهم العوامل فى الشفاء ، أما الظالمون فلن يجدى معهم هذا العلاج الخاص

المشخص لطائفة خاصة ، لذا كان التعقيب القرآني عقيب ذلك « **ولا يزيد الظالمين الا خسارا** » من ذلك ما ورد بسند في كتاب الرسالة القشيرية جـ ٢ : « حدثنا محمد بن عبد الله الصوفي قال : حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال حدثنا محمد بن احمد المروزي قال : حدثنا عبد الله بن سليمان قال : قال أبو حمزة نصر بن الفرج خادم أبي معاوية الأسود ، قال : كان أبو معاوية قد ذهب بصره ، فاذا أراد أن يقرأ القرآن نشر المصحف ، فيرد الله عليه بصره ، فاذا ما أطبق المصحف ذهب بصره » .

لهذه السمات كلها كان القرآن صمام الامن من مبادىء الهدم ومذاهب الانحراف كان ركيزة من ركائز الوحدة والاتحاد ، ضم الصفوف ورأب الصدع ووحد اللهجات والقوانين وأزال السخائم من النفوس واستل الاحقاد وانتزع الثارات ومحا الفوارق ووجه الخلق الى تعاليم الخالق وهدى الناس الى عبادة رب الناس فتوحدت القبائل المتنافرة واجتمعت على كلمة واحدة تحت راية واحدة تفيأ ظلالها الوطن العربي كله فعز وساد .

والقرآن دعوة عالمية يجب أن تعم المحيط الدولي وأن تصل الى الناس كافة في مختلف البقاع والأصقاع ولا سيما في هاتيك الانحاء التي لا تعرف عنه الا ما تردده منه من كلمات أو بضع آيات ترديدا لسانيا فحسب من غير أن يطرق قلبها وبدون أن يترك في تذوقها أثرا .

ان الهيئات الدينية وأجهزة الوعظ والجامعات الاسلامية

كل أولئك مرجوون الآن لأن يسهموا بامكانياتهم وطاقاتهم فى نشر كتاب الله فى تلك الجهـــات التى لما تسمع داعى الله بوساطة دعاة يدعون الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة يحملون الى هؤلاء كتـاب الله ليخرجهم من الظلمات الى النور ويدخلهم فى دين الله أفواجا ٠

وحي منزل

« ان هو الا وحى يوحى »

(انه لتنزيل رب العالمين ٠٠ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين)

وماتنزلت به الشـــياطين ، وما ينبغى لهـم ، وما يستطيعون ٠٠٠

بين الخيام والرمال ٠٠ والصحراء والوهاد ٠٠

والمجتمع الصحراوى يدور فى فلك أقرب ما يكون الى البداءة ، وفى اطار محدود من معارف محدودة ، وانطـلاقات فى حدود ما قدر له من امكانيات ، وما هىء له من طاقات ٠

وهو بالتالى على النقيض من المجتمع الحديث الذى لفتـه المدنية بحضارتها وعلومها وتقدمها فى المجالات المختلفة ٠

وهو بعيد عن معرفة أمراض المدنية وأدرانها ومشكلات الحياة وزحمة الناس وسرعة الزمن ٠

(فاذا ما شخص العربى ـ وهو وسط الرمال والخيـام والفيافي والقفار ، وهو لم يســـمع بأذنيه أزيز طائرة ولم

تلمس يداه أزرار الكهرباء ، ولم ترفه جسده مخترعات مبتكرة ولم ترفه عقله علوم المجتمع الحديث) ٠

(واذا ما شخص العربي وهو بهذه الشابة ـ أدواء النفس البشرية الحديثة وغاص الى الأعماق يعرض ويكشف مظاهر وظواهر وأمراضا وعللا ومشكلات ونوازع ومنازع ، وحوادث وأحداثا ، وتاريخا وحضارات ، ويعرض صورة صادقة لانسان آخر الزمان ٠٠٠ انسان المدنية الحديثة ٠٠ انسان النهضة والتقدم ٠٠ انسان الآلة المعقدة انسان كل جيل بشواغله واتجاهاته ، بمدنيته وتطوره وما يحمل بين جنبيه من أمراض نفسية وآفات اجتماعية ٠٠ الانسان المتطور الذى فك الاغلال العقلية والمادية وانطلق فى أجواء جديدة ٠٠ غزا الارض وعبدها ومهدها ومد فيها فجاجا سبلا ، وغزا الفضاء وجال بين السحاب ٠٠ فلن يكون ذلك التشخيص من وحى الخيال ولا من وحى العقلية التى لم تقرأ كتابا ولم تخط حرفا) ٠٠٠

(ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى)

(« انه لتنزيل رب العالمين »)

« القرآن ٠٠ والأمثال »

ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل (١)

ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل (٢)

---

(١) آية ٨٩ من سورة الاسراء

(٢) آية ٥٤ من سورة الكهف

« (١) من سنن الهـدى الاسـلامى مراعاة النفسيات ، فهناك نفس متينة مكينة ، ونفس هشة قميئة ، وثالثة كافرة فاجرة وأخرى مارقة ماجنة ألوان من نفسيات متباينة متغايرة لكل منها عند القرآن علاج خاص ، فالنفوس الخيرة المؤمنة التي تزيدها الدعوة استمساكا بعقيدتها وايمانا على ايمانهـــا . وتقريرا لمفاهيم العقيدة وتثبيتا لمبادئها ، وتوكيدا لتعاليمهـا .. هذه النفوس يربيها القرآن تربية خاصة ، تربية مثالية قوية تتواءم مع قوتها وتتلاءم مع ايجابيتها ..

والنفوس الهشة الضحلة الايمان الضعيفة البنيـــان يحصنها القرآن بما يقـــدم لها من بالغ كلمه وبارع حكمه ورائع مثله وجميـل ارشاده وجليل توجيهـه ، وتظل تتقبل وتزدرد حتى تنفعل وتتشبع وحتى يســتقيم عودها ويتـكامل بنيانها ..

مزاج من نصح ، وأمشاج من هداية ومقادير من أدوية تقدم لكل نفس بمعيار وقدر ، فما يصلح لاحداها لاتنتفع به الأخرى وما ترغب فيه نفس ترغب عنــه أخرى .. وما يقنع نفسا مطمئنة تعافه نفس جامحة شموس ..

ومن أجل هذا كانت الأمثال فى القرآن لونا من ألوان الهداية الآلهية تغرى النفوس على الخير أو تحضها على البر أو

---

(١) من مقدمة كتاب الأمثال في القرآن (لمحمود بن الشريف) من سلسلة اقرأ (٢٦٥)

تمنعها من الاثم أو تدفعها الى فضيلة أو تدفع عنها شائبة أو تمنع نقيصة .. ومن أجل هذا أيضا تناولت الأمثال القرآنية مجالات عدة ، فمثلت الايمان ومثلت بالكفر وفضحت النفاق وحضت على الانفاق ونادت بالخير ونددت بالشر وصورت الطيب والخبيث والصالح والطالح وغير ذلك مما أشادت به أو أشارت اليه » .

« الرسالة الأخيرة »

« وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا ، نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض » (١)

« كما أرسلنا فيكم رسولا منكم ، يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ، ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » (٢)

الانسانية فى مهدها لما تتفتح عيونها بعد .. والكون من حولها غر ساذج .. والعقل البشرى قاصر عن ادراك المفاهيم والقيم ، والطبائع لم تصقلها يد التوجيه والمعرفة .

(١) آية ٥٢ من سورة الشورى
(٢) آية ١٥١ من سورة البقرة

وأراد الله للانسانية أن ترقى وتنهض ·· وللكون أن يزحف ويتطور ·· وللعقل أن يعمل ويفكر ·· وللطبائع أن تسمو وتصفو ، فأرسل رسله وهداته ودعاته يبنون ويبينون ويقوون ويقومون لكل رسول مجال ·· ولكل مرشد ميدان ولكل داعية ناحية يدعو لها ويعمل من أجلها تجمعهم جميعا كلمة التوحيد ، ·· والهداية ··

وكانت رسالة موسى تهدف الى هداية قومه وتحريرهم من عبودية فرعون ··

وكانت رسالة عيسى تخليص القوم من اسار المادة وكان يقول « **الحق أقول لكم انه يعسر أن يدخل غنى ملكوت السموات** » ·

ومن قبلهما تناول كل رسول بجانب الاتجاه التوحيدى، منحى خاصا ، والرسل كثير « **وان من أمة الا خلا فيها نذير** » « **منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص** » كل أخذ دوره ووضع لبنة فى بناء الانسانية ·

ثم أراد الله لهذا البناء أن يتكامل وللانسانية أن تبلغ رشدها وأعلى قمتها : فكانت الرسالة الأخيرة ·· **وسالة محمد** للروح وللجسد ، للعقل وللبدن ، للدين وللدنيا فتفتحت أعين الانسانية على مثل وقوانين : مثل سماوية هادية ، وقوانين الهية أيقظت الوجدان وصقلت الأرواح وكملت للبشرية بهذه الرسالة الأخيرة راحة النفس وصفاء الروح ونقاء

الضمير وسلامة الوجدان ‥ شريعة عامة تامة كاملة شاملة ، لذا كانت خاتمة الشرائع وصاحبها خاتم الرسل والأنبياء « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا** » ‥ بالكتاب الذى دعا اليه ‥ بالنور ‥ بالقرآن ‥ وضحت المعالم معالم الطريق ، واستبانت شعبها وبدت مسالكها ‥ وعلى يديه صلوات الله وسلامه عليه تمت مكارم الأخلاق « **انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » لم يترك فى البناء نقصا ولا ثغرة فرأب الصدع وجمع الجمع ‥ ووحد الكلمة على « **كلمة التوحيد** » ٠

ومن قبل كانت كل شريعة خاصة بأمة الرسول الذى بشر بها ، وتنسخ وتزول بموته ، لأنها كانت مفصلة على قد هذه الأمة فحسب ، لا تتلاءم مع أمة سابقة ولا تتواءم مع أمة لاحقة ٠

هكذا تشريع الله ‥ جعل لكل أمة شرعة ومنهاجا ٠

وهذا من حكمة الله أن جعل الواجب الملقى على قدر الحق المأخوذ ، وهذا من رحمته وعدله ، فالأمم كالنفسيات ما يصلح لواحدة لا تصلح به الأخرى ٠

ولما اكتمل الاعداد النفسى للبشرية كانت خاتمة الرسالات ونهاية الشرائع شريعة الله المنزلة على عبده وخاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم ٠

عروبة القرآن

* « انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (١) .
* « كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » (٢)
* ولو جعلنـاه قرآنا أعجميـا لقالوا لولا فصـلت آياته أأعجمى وعربى » (٣) .
* « وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا » (٤) .
* « قرآنا عربيا غير ذى عوج » (٥) .
* « بلسان عربى مبين » . « وهـذا لسـان عربى مبين » (٦) .
* « فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون » (٧) .

تلك آيات واضحات فى الدلالة على عروبة القرآن وأن ليس فيه ألفاظ مستوردة أو دخيلة ، بل هى كلمات عربيـة لحما ودما .. عربية عروبة أصيلة مبرأة من شوائب العجمة ، منزهة عن اللحن ، لا كما اتجه البعض فحكم على بعضهـا

(١) آية ٣ من سورة الزخرف
(٢) آية ٣ من سورة فصلت
(٣) آية ٤٤ من سورة فصلت
(٤) آية ١١٣ من سورة طه
(٥) آية ٢٨ من سورة الزمر
(٦) آيه ١٠٣ من سورة النحل
(٧) آية ٥٨ من سورة الدخان

بأنها أعجمية الأصل أو منحوتة من لهجات ولغات غير عربية ٠

والحق ان الاستقراء اللغوى لاشتقاقات هاتيك الألفاظ التى ادعوا انها دخيلة والتى زعموا ان القرآن استمدها من لغات أخر انما يوصلنا ذلك الاستقراء الى أصالة هذه الكلمات وعراقتها فى العروبة ، فما كان القرآن وهو الذروة لغة وبلاغة ، ما كان له أن يعجز عن التعبير بعبارات عربية حتى يلجأ الى المستعرب والأعجمى فيستمد منه العون اللغوى ٠

انه بلسان مبين ، فألفاظه عربية مبينة ، صحيحة فصيحة ، وفى بطون كتب اللغة والمعاجم العربية والمراجع اللغوية من الأدلة والقرائن والأبحاث ما يقوى هذا المتجه ٠

لقد تغالى ، ولا أقول تغابى ، البعض فى ذلك الوهم السالف ، وهو ان بالقرآن ألفاظا غير عربية ، فاتهم الصحابة، وهم العرب الخلص ، بأنهم لم يفهموا بعض كلمات القرآن ولم تتضح دلالتها لهم لأنها لم تكن فى لغتهم اذ أنها أعجمية دخيلة عليهم، الى هؤلاء نقول لهم كما قال القرآن « **ءأعجمى وعربى**»؟! لقد اعتمد هؤلاء على أقوال ضعيفة وقصص مريضة فقالوا ان عمر بن الخطاب لم يفهم معنى كلمة « أبا » فى قوله تعالى

« **وفاكهة وأبا** » لأنها كلمة حبشــية ، ثم قالوا ان فى القرآن كلمات سريانية وعبرية وحبشية وفارســية ، وقبطيــة ، وبربرية ، وزنجيـــة !! وعدوا الكلمات : الأرائك ، أواب ، درى ، غيض ، كفلين ، الجبت ، أواه ، الطاغوت ، قالوا انها حبشية ، كما قالوا ان لفظة الفردوس والصراط رومية ٠٠ الى آخر ما زعموا ، حتى تبجح بعضهم وادعى ان كلمة القرآن ليست كلمة عربية النسب ولكنهـا دخيلة على لغة العروبة ، وزعم أن أصلهـــا عبرى !! وما أكثر ما تحفل كتب اليهود ودراسات المستشرقين المغرضين بأمثال هذه التجنيات !! وما أكثر ما ينقل عنهم البعض بجهل أو بسذاجة نية !

وثالثة الأثافى أن بعض المفسرين شط فى تفسيره ، وجنح به الشطط الى اتجاه حسبه هينا ، وهو عند الله عظيم ٠ فتساءل : هل نزل القرآن بلغة واحدة أم نزل بسبع لغات مع اتفــاق المعنى ؟ ثم اختــار هو نفسه أنه نزل بالسبعة المذكورة التى يوضحها المثال فى لفظ « هلم » يقال بدله أقبل ، وتعال ، والى ، وقصدى ، ونحوى ، وقربى ، ونحو ذلك مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق وتتفق فيه المعانى وان اختلفت بالبيان به الألسن ٠

كما أورد القرطبى دفاعا حارا ٠٠ عـــارض به الذين يقولون ان القرآن نزل بسبع لغـات مختلفة فكان جبريل

(فيما نقل السيوطى) ينزل بالآية بلغة قريش ثم يتلوها باللغات الأخرى أى يترجمها الى هذه اللغات (١) .

ان من يقرأ هذه الاتجاهات في ذلك المبحث يؤمن ـ وأنا معه ـ بأن بعض آراء المفسرين القدامى والمحدثين يجب أن تؤخذ على انها آراء شخصية اجتهادية لا يلزم بها أحد اذ أن مجالات الحدس والتخمين والهامشية والبعد عن التعمق والموضوعية تنضح بها هذه الاتجاهات وانها آراء ننفى عنها التبجيل والاحترام اذا كان فيها الشطط والاهتزاز والخطأ والخطل ، وهل هناك أغرب من هذا : آيات تنزل ثم تترجم !! سبحانك ربى ! ومعذرة لتلك النظرية التى تحض على قداسة العلم وقداسة البحث مهما كانت النظرة والاتجاه ومهما كان المنحرف والمتحرف !!

وعن لغة القرآن يقول صاحب كتاب « محمد رسول الله » (ص ١٤١) : « لقد حقق القرآن معجزة لا تستطيع أعظم المجامع العلمية أن تقوم بها ذلك أنه مكن للغة العربية فى الأرض بحيث لو عاد أحد أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الينا اليوم لكان ميسورا له أن يتفاهم مع المتعلمين من أهل اللغة العربية ، بل لما وجد صعوبة تذكر للتخاطب مع

---

(١) ص ١٣٢ من كتاب محمد صبيح عن « القرآن » ويرجع من يريد الاستزادة فى هذا الصدد الى كتاب « الادب الجاهلى » للدكتور طه حسين والى ما أورده ابن جرير الطبرى فى تفسيره ، وكتاب « الاتقان » للسيوطي .

الشعوب الناطقة بالضاد ، وهذا عكس ما يجده ـ مثلا ـ أحد معاصري « رابليه » من أهل القرن الخامس عشر الذى هو أقرب الينا من عصر القرآن من الصعوبة فى مخاطبة العديد الأكبر من فرنسى اليوم ، وان لغة القرآن وان كانت تمت ـ فى أصولها ـ الى عصور بعيدة قديمة ، فهى مرنة طيعة ، تسع التعبير عن كل ما يجد من المستكشفات والمخترعات الحديثة دون أن تفقد شيئا من رونقها وسلامتها .

وأما ما نراه من المولدات التى تستعملها الجرائد العربية بنفس أصولها الأجنبية ، فليس ذلك عن ضرورة ، وانما هو نوع من التكاسل والتهاون والتساهل الذى نجد مثله عندنا نحن الفرنسيين فى استعارتنا الاصطلاحات الخاصة بالألعاب الرياضية عن الانجلو سكسونية » .

افتتاح ..

ان المتتبع لآى القرآن الكريم يجد ثمانى وثلاثين سورة من سور القرآن قد تحدثت فى مفتتحها عن القرآن ، ومنزله، والمنزل عليه ، والمنزل اليهم ، والحكمة من ذلك التنزيل . يجدها قد بلورت فى قوة وتركيز ، وفى كلمات معـــدودات أهداف ذلك الهدى الآلهى من هداية البشر ودعوتهم الى العبادة الخالصة لصاحب الدين الخالص منزل الكتاب ، العزيز الحكيم السميع العليم ، غافر الذنب وقابل التوب ، كما عددت بعض صفاته سبحانه جل وعلا ، وكشفت عن مصير المؤمنين ومسير المشركين المكذبين وعنت الكافرين من مجادلة واضلال وتول عن تدبر هذا الهدى ، وحرص الرسول على هدايتهم ، كما أشارت الى قسم الفرقان بالقرآن على رسالة محمد وسيره على النهج الآلهى وعلى نفرة الكفار وشـــقاقهم وعجبهم من مجىء رسول منهم ، كما أبانت سورة الجن عن ايمان مؤمنى الجن . ثم كانت سورة القدر التى تحدثت كلها عن الموعد الذى نزل فيه القرآن .. عن تلك الليلة .. ليلة القدر .. ليلة الكرامة والبركة والأمن والسلام .

فأول سورة البقرة : « **ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين** » .

وأول ســـورة آل عمران : « **ألم الله لا اله الا هو الحى**

القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ، وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان » .

وأول سـورة الأعراف : « **ألمص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين »** .

وأول سورة يونس : « **آلرتلك آيات الـكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر النـاس وبشر الذين آمنوا ... »**

وأول سورة هود : « **الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، ألا تعبدوا الا الله انني لـكم منه نذير وبشير »** .

وأول سورة يوسف : « **ألم تلك آيات الـكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلـون ، نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن »** .

أما سورة الرعد فأولها : « **المر ، تلك آيات الـكتاب والذى أنزل اليك من ربك الحق »** .

وسورة ابراهيم : « **الر كتاب أنزلنـاه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النـور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد »** .

وأول سورة الحجر : « **الر تلك آيات الـكتاب وقرآن مبين »** .

وأول سورة الكهف : « **الحمـد لله الذى أنزل على عبده**

الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا حسنا ما كثين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا » •

وأول سورة طه : « **طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى »** •

والأنبياء أولها : « **اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ، ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم »** •

وأول سورة النور : « **سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون »** •

وسورة الفرقان أول آية فيها : « **تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا »** •

وأول سورة الشعراء : « **طسم تلك آيات الكتاب المبين، لعلك باخع نفسك ألا يكون مؤمنين ، ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية •• »**

أما أول سورة النمل فهى هذه الآيات : « **طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ، هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الأخسرون ، وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم »** •

القصص : « **طسم تلك آيات الكتاب المبين ، نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون** » .

لقمان : « **الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون، ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين ، واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم** » .

السجدة : « **الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه ، بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون** » .

الاحزاب : « **يأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك** » .

يس : « **يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون** » .

ص : « **ص والقرآن ذى الذكر ، بل الذين كفروا فى عزة وشقاق** » .

الزمر : « **تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ، الا لله الدين الخالص** » .

غافر : « حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا » .

فصلت : « حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون » .

الشورى : « حم عسق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم » .

الزخرف : « حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم » .

الدخان : « حم والكتاب المبين انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم » .

الجاثية : « حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم » .

الاحقاف : « حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم » .

محمد : « الذين كفروا وصدوا عن سـبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم ، كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم » .

ق : « ق والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منـذر منهم » .

الطور : « والطور وكتاب مسطور فى رق منشور » .

النجم : « والنجم اذا هوى • ما ضل صاحبكم وما غوى • وما ينطق عن الهوى • ان هو الا وحى يوحى • علمه شديد القوى » •

الرحمن : « الرحمن علم القرآن » •

الجن : « قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به » •

المزمل: «يأيها المزمل قم الليل الا قليلا• نصفه أو انقص منه قليلا • أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا » •

القدر : « انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر » •

وبعد :

فهذا حديث القرآن عن القرآن
ولعلنا نكون بجمعه فى هذا الكتاب قد ملأنا
فراغا كان شاغرا فى المكتبة القرآنية .

طبع بمطابع الدار القومية

المكتبة الثقافية

أول مجموعة من نوعها تحقق
اشتراكية الثقافة
تيسر لكل قارئ أن يقيم في بيته
مكتبة جامعة تحوي جميع ألوان
المعرفة بأقلام أساتذة ومتخصصين
وبخمسة قروش لكل كتاب

تصدر روائع المسرح العالمي في ٤ ديسمبر

هبط الملاك في بابل

تأليف : فريدريتش ديرنمات

ترجمة وتقديم : أنيس منصور • مراجعة : د. محمد عوض محمد

يصدر أعلام العرب في ٧ ديسم

المقري • صاحب نفح الطيب

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

الثمن ٥

ملتزم التوزيع مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي بالفجالة